السنة الثانية والعشرون   العدد ١١   تشرين الثاني ١٩٢٤

المشرق

يوبيل

الجامعة الرومانيَّة الغريغوريَّة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

قد شبَّه الكتاب الكريم اعمال الصالحين بشجرة أصيلة الجذور وارفة الظلّ لا تنتثر اوراقها صيفاً مع شتاء وهي مغروسة عند مجرى المياه . هذا لعمري وصفٌ يصحّ في الوفرِ من المشروعات الكاثوليكيَّة التي أُنشئت منذ عدَّة اجيال وهي لا تزال الى يومنا في نموّها وازدهارها

وقد ظهر ذلك خصوصاً في هذا العام في رومية العظمى في احدى جوامعها الشهيرة المعروفة بالجامعة الرومانيَّة الغريغوريَّة التي احتفل اربابها بيوبيلها المئوي في ٧ أيار ١٩٢٤ فأُقيمت الحفلات الشائقة التي حضرها عدد عديد من الكرادلة والاساقفة وذوي المناصب الشريفة ومعظمهم من المتخرّجين فيها . وقد شرَّفها الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وهو احد تلامذتها ببراءة خصوصيَّة اثنى فيها على خدمها السابقة والحاضرة وآزر مديريها واساتذتها ببركته الحبريَّة

فبهذه النسبة أحببنا ان ندوّن على صفحات المشرق خلاصة تاريخها واعمالها ليرى القرَّاء الكرام ما للكنيسة الكاثوليكية عموماً وللرهبانيَّة اليسوعيَّة خصوصاً من الاهتمام بتهذيب العقول ورفع منار العلوم

اصل الجامعة الرومانيَّة الغريغوريَّة

يرتقي اصل هذه الجامعة الى اواسط القرن السادس عشر الى عهد القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة . فان هذا النابغة بعد أن اثبت الكرسيّ الرسوليّ جمعيَّتهُ ودستور رهبانيَّته صرف كلَّ مجهودهِ الى تعزيز صروح العلوم وفتح المدارس العليا في امّ المدائن وفي انحاء اوربَّة تفنيدًا لما كان يشيعهُ زعماء البروتستانت انَّهم اصبحوا هم القابضين على ازمَّة المعارف دون الكاثوليك

ومن اخصّ اعمال القديس المذكور انشاء المدرسة الرومانيَّة التي اراد ان يتخرَّج فيها مع طلبة الرهبانيَّة اليسوعيَّة كلُّ المترشحين للمناصب العليا الدينيَّة في الكنيسة . ففي السنة ١٥٥٠ كان قصد رومية احد اشراف اسبانية ونائب الملك في كتالونية فرنسيس بورجيا دوقة غنديا ونيَّتهُ الترهُّب في رهبانيَّة يسوع . فلمَّا وقف على فكر اغناطيوس بانشاء مدرسة كبرى لذويهِ وللاكليروس الكاثوليكي تبرَّع بمبالغ وافرة من مالهِ لتحقيق هذه النيَّة وكذلك البابا يوليوس الثالث وَصلها بالصِلات السنيَّة . فكان تدشينها في اواسط شهر آذار من السنة ١٥٥١ بحضور ١٣ تلميذًا من اليسوعيين القادمين من بلادٍ مختلفة وتعيَّن لهم رئيساً احد علماء الرهبان الفرنسويين الاب جان پلِتيه مع خمسة معلّمين للاهوت والفلسفة والحقوق وتفسير الاسفار المقدَّسة والرياضيَّات والطبيعيَّات

ترقّي المدرسة الرومانيَّة الغريغوريَّة

كان اوَّل منزل احتلَّهُ الدارسون في المدرسة الرومانيَّة مأجورًا في الحيّ المعروف بكَمپيدوليو فلم تمرّ عليهِ سنتان حتى ضاق بالدارسين فنُقلت المدرسة الى مكان اوسع في حي القديسة مريم فوق ميترڤا فتقاطرت اليهِ التلاميذ من كلّ صوب وفجّ وقد اشتهر فيهِ معلّموهُ الآباء انطون فروزيوس ومرتينوس اولاثيوس وتوريانوس وروجياروس

وفي سنة ١٥٥٩ طغى نهر التيبر في رومية فقوَّض قسماً من ابنية المدرسة فاهتمّ للامر البابا بيوس الرابع وبإيعازهِ قدَّم بعض اعيان رومية دارًا واسعة كانوا يعدّونها

لتربية البنات قريباً من دار سلفياتي . فبعد اصلاحها وتجهيزها بكل أثاث المدارس صار افتتاح ذلك المعهد سنة ١٥٦٠ بحفلة عظيمة وبُنيت بقربها كنيسة على اسم سيدة البشارة قام بهندستها وتشييدها الاخوة اليسوعيون فجاءت طرفة من طُرف عاصمة الكثلكة وفيها أُنشئت سنة ١٥٧٤ اول اخويّة لاكرام العذراء وبها تُناط كل اخويات العالم الكاثوليكي ولذلك تُدعى بأمّ الاخويات (Prima Primaria)

فنما عدد الطلبة نموّاً عظيماً وأحرزت لها المدرسة ذكرًا خالدًا في سائر بلاد النصرانيّة الى ان جلس سنة ١٥٧٢ على عرش البابويّة الكردينال بونكمپاني الذي اتّخذ لهُ اسم غريغوريوس الثالث عشر وكان محبًّا للرهبانيّة اليسوعيّة معجبًا بآثرها في العالمَين فرأى ان يجعل المدرسة الرومانيّة آيةً في حسن البناء واثرًا فريدًا في رومية المخلّدة فاحضر ابرع مهندسي ذلك العصر في مقدّمتهم الفلورنتيني برتلماوس أَماناتي وعهد اليهِ بان ينقض بنايات المدرسة السابقة ويشيّد بدلًا منها مدرسة جامعةً لكل ضروب المحاسن الهندسيّة بواجهتها الفخمة واروقتها الرحبة وطبقاتها المنتظمة ومتاحفها وردهاتها الواسعة ونقوشها اللائقة لغايتها وقد وُضع حجرها الاول في غرّة سنة ١٥٨٢ فتمّ البناء في العام المقبل وعُرفت مذ ذاك المدرسة الرومانيّة بالجامعة الغريغوريّة تنويهاً بشكر اليسوعيين لمتولّي بنائها . وقد اقاموا لهُ تمثالًا بديعاً في صدر المدرسة وكتبوا على عتبة رتاجها اسمهُ الكريم تخليدًا لذكرهِ . ولم يزل الحبر الاعظم يوالي حسناتهِ زيادةً لفخامة المدرسة وتنظيم أثاثها الى وفاتهِ سنة ١٥٨٥

ثم قام غريغوريوس آخر وهو الخامس عشر من اسمهِ وكان اسمهُ قبل حبريّتهِ اسكندر لودوڤيسي (١٦٢١—١٦٢٣) فرأى انّ كنيسة البشارة الممرّة سابقاً صغيرة لم تعُد توافق الجامعة الغريغوريّة فعزم على تقويضها وتجديد بنائها على نفقتهِ وجعلها تحت حماية القديس اغناطيوس الذي نُظم اسمهُ في سجلّ القديسين سنة ١٦٢٢ فلم يألُ جهدًا في هذا العمل الجليل وساعدهُ على مباشرتهِ وتتمّتهِ ابن اخيهِ الكردينال لودوفيكو لودوڤيسي وتكلّفا عليها الكلف الباهظة . ولم يتمّ العمل الّا بعد وفاة الحبر الاعظم بعدّة سنين لكنّ الكردينال لم يبرح عن مواصلتهِ الى السنة ١٦٣٠ وخلفهُ بعد موتهِ اخواهُ برنردينو ونيقولو لودوڤيسي حتى نجز سنة ١٦٥٠ أعني بعد ٣٧ سنة لوضع حجرهِ الاول . فحدّث ولا حرج بفخامة هذه الكنيسة التي تعدّ بعد كنيسة

القديس بطرس في رومية من اعظم وافخم وابدع كنائس حاضرة الكثلكة وترى فيها الى يومنا هذا التماثيل العجيبة والصور الغالية الثمن لكبار المصوّرين ومشاهير النحّاتين مع ضروب الحليّ واصناف المصاغات والحجارة الكريمة والهدايا والنذور الملكيَّة. وهي على هيئة صليب لاتيني. أُقيم فيها معبد للسيّدة البتول على اسم سيّدة الطريق (della Strata) وعلى جانبَيْهـا مشهد القديسين اغناطيوس ولويس غونزاغا يعلو قبرَيهما هيكلان جامعان لضروب محاسن الهندسة. وفي احدى جهاتها مشهد بديع يحتوي على قبر البابا غريغوريوس الخامس عشر نُقلت اليهـا رفاتهُ من مـدفن الفاتيكان بموجب وصيّتهِ الاخيرة. وبقربهِ قبر آخر جميل لابن اخيهِ المحسن مثلهُ الى هذه الكنيسة الكردينال لودوفيكو لودوفيسي. وبهذه الكنيسة اصبحت الجامعة الغريغوريّة تامّة الاهبة ديناً ودنيا

تولّى ادارة هذه الجامعة الآباء اليسوعيُّون مائتين وعشرين سنةً كانت في مدّتها سراجاً منيراً للعالم الكاثوليكيّ يستضيء بهِ الطلّاب من كلّ اصقاع البلاد. فكانت العلوم التي تُدرس في تلك المدرسة تتّسع نطاقاً على حسب ترقّي المعارف البشريّة لا يفوتها شيء مما تعلّمهُ جوامع عواصم الدول بل تفوق عليها بالعلوم الدينيّة العليا

وقد اشتهر في تلك الحقبة كثيرون من اساتذتها في كلّ صنوف العلوم. فممّن نالوا قصبة السبق في العلوم اللاهوتيّة والفلسفة الطوبويّ الكردينال بلرمينوس والكردينال دي لوغو والكردينال طولِه والأبوان سُوارِس وڤسكس. وفي العلوم الكتابيّة والحق القانوني والتاريخ الكنسيّ الكردينال پلّافيشيني والآباء كرنيليوس الحجرى وماريانا وپرايرا وشملزغروبر. وفي العلوم البيانيّة والخطب الآباء پرپنيان وسترادا وكوردارا وامبروجي. وفي العلوم الرياضيّة والطبيعيّة والفلكيّة الآباء كلاڤيوس الملقّب باوقليدس عصرهِ وشرينر وبسكوڤتش وأسكلابي وكثيرون غيرهم يطول بنا ذكرهم. واكثرهم المصنَّفات التي تزدان بها الى يومنا المكاتب الكبرى تجد وصفها في عشرة مجلّدات ضخمة عنوانها مكتبة الآباء اليسوعيين للاب سومرفوغل (Sommer-vogel)

وكان لتلك الجامعة الغريغوريّة مكتبة عموميّة تحتوي ثمانين الف مجلّد في سائر

العلوم . ثم ثلاث مكاتب أخرى خصوصيَّة كانت الواحدة منها تتألف من ٣٠،٠٠٠ كتاب

وكان للجامعة ايضاً غرفة لكل ادوات العلوم الطبيعيَّة والمكتشفة في ذلك الوقت تُعدّ من أغنى المعاهد العلميَّة

وقد اقام الاب كلاڤيوس منذ السنة ١٥٧٢ مرصداً لتلك الجامعة اشتهر في كل انحاء اوربَّة برصوده للفلك وللمظاهر الجويَّة كالحرارة وحركات الارياح وثقل الهواء . وقد خلفهُ في ادارته مشاهير الفلكيين منهم الآباء كَلَندرِتي وشَينَر وكَونتي وريشباخ . وقد عهد البابوات الى بعض هؤلاء العلماء ادارة مرصد الڤاتيكان

وكان في تلك الجامعة الغريغوريَّة متاحف ثمينة تولَّى جمعها وتنظيمها العلَّامة فريد عصره الاب اثناس كِرخر مكتشف الفانوس السحري . ثم جرى على منواله الآباء فيليب بونانّي وكونتوتشي وريشيوري

هذا فضلًا عن علوم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة . وعن المحاضرات العلميَّة والادبيَّة التي كانت تُعقد في مواطن معهودة فيتقاطر اليها كل اعيان رومية وعلماء ايطالية

وكان من الواجب هنا ان نعدّد الرجال العظام الذين تخرَّجوا في هذه الجامعة فشرَّفوا بلادهم بعلومهم ومآثرهم الطيّبة منهم عدد لا يُحصى من الكرادلة والاساقفة والكهنة والرهبان نظمت الكنيسة بعضهم في عداد القديسين كالويس غونزاغا ويوحنَّا بركمنس وليونار دي پرّموريس الكبوشي وانَّما نكتفي بذكر الاحبار الرومانيّين الذين تعلَّموا فيها في القرنين السابع والثامن عشر وهم : غريغوريوس الخامس عشر . واوربانوس الثامن . واينوشنسيوس العاشر . واكليمنضوس التاسع ثمَّ العاشر . واينوشنسيوس الثاني عشر ثم الثالث عشر . واكليمنضوس الثاني عشر

وكان في رومية معاهد كبيرة لدول مختلفة منها للانكليز وللاسكتلنديين وللايرلنديين ولليونان كان تلامذتهم يأتون صباحَ مساء الى الجامعة الغريغوريَّة ليحضروا دروسها . ومنها كانت المدرسة المارونيَّة الشهيرة التي كانت تحت نظر الآباء اليسوعيين ففي تلك الجامعة اتقن كثيرون منهم العلوم ثمَّ اشتهروا في حواضر اوربَّة

كالماعنة والحصرونيين وعميرة والشدراوي والحاقلاني ومبارك والباني الخ فكلُّهم ثمرة الدوحة الغريغوريّة

كبوة الجامعة الغريغورية ونهضتها

ثبتت الجامعة الغريغوريّة في عزّها وشهرتها الى السنة ١٧٧٣ التي فيها اضطرَّ اعداء الدين البابا اكليمنضوس الرابع عشر الى الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة (١ ولم يشأ ان يُهمَل ذاك النادي العلميّ الجليل فسلَّمهُ الى عدَّة من اساتذة رومية وعلمائها وكان معظمهم قد تخرَّجوا فيهِ وعرفوا نظامهُ فاداروهُ بما استطاعوا من الهمَّة والحكمة لولا انهم بعد حين ناءوا تحت هذا العبء الثقيل وجاءت الحوادث السياسيَّة الفاجعة في عهد الحبرين بيوس السادس وبيوس السابع نفتَّت في عضدهم وتضعضعت احوال تلك المدرسة وكادت تدخل في خبر كان الى ان أحيا بيوس السابع الرهبانيَّة اليسوعيَّة وبعثها من قبرها سنة ١٨١٤ وكان فكرهُ ان يُعيد اليها تدبير الجامعة الغريغوريَّة لولا قلَّة اليسوعيين حينئذٍ فانتظر ريثما ينمو عددهم ويستأنفوا مشاريعهم القديمة فحال الموت دون رغبتهِ

ولمَّا تبوَّأ الكرسيّ البطرسيّ خلفهُ لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٤ كان اوَّل ما عوَّل عليهِ ان يعطي القوس باريها فحرَّر براءةً اثنى فيها على اعمال ابناء القديس اغناطيوس في سبيل الدين والعلم وسلَّم اليهم ادارة الجامعة الغريغوريَّة وردَّ لها مكاتبها ومتاحفها ومرصدها وجدَّد كلَّ النعم الممنوحة لها سابقاً وخصوصاً الرخصة بان تمنح اجازة الملفنة لطلَّابها

فرجع اليسوعيون الى مدرستهم بحفلة عظيمة وقعت في ١٧ ايَّار من تلك السنة. فتمَّ لها في هذا العام مئة سنة فبلغت يوبيلها المئوي الذي اقامت لهُ الافراح في ايار الاخير مدَّة ثلثة ايَّام كاملة وقد اطنبت الجرائد في وصفها واقرَّت بفضل تلك الجامعة التي لم تَحِد ذرَّةً عن خطَّة الجامعة السابقة بل أتت بكثير من المشروعات الجليلة التي دعت اليها الاحوال الحاضرة. وقد زارها الحبران العظيمان غريغوريوس

١) اطلب مقالتنا «اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة» (في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٥٦١-٥٧٤)

السادس عشر وبيوس التاسع فاستقبلتهما عمدة المدرسة واساتذتها وتلامذتها استقبالهم لاعظم الملوك واكبر السلاطين

على انَّ الجامعة الغريغوريَّة لم تثبت في الصرح الجليل الذي شادهُ لها غريغوريوس الثالث عشر . فانَّ دولة ايطالية لمَّا اغتصبت رومية والاملاك البابويَّة سنة ١٨٧٠ وضعت يدها على ابنية هذه الجامعة ومقتنياتها كالمتاحف والمرصد والمكاتب والجأتها الى ان تنتقل الى محلّ آخر لدولة اجنبيَّة . فاختار رؤساؤها المدرسة الجرمانية المعروفة بالقصر البورومي ولم يُسمح لهم بتدريس الآداب اللاتينيَّة بل حُصِر تعليمهم في الدروس الكهنوتيَّة

فاضطربت الامور بهذا الانتقال القسري وبعد ان كان عدد طلبة الجامعة الغريغوريَّة نيفاً وسبعمائة هبط في السنة ١٨٧١ الى ١٩٦ فقط . بيد انَّ الآباء اليسوعيين لم تثبط عزمهم الاضطهادات وكثيراً ما تُضاعف همَّتهم . وهكذا جرى في تدبير المدرسة الرومانيَّة . فانَّ مدبريها افرغوا كنانة الجهد ليبلغوها الى أوج الرقي وغاية النجاح فلم يخب رجاؤهم والدليل عليه ان عدد الطلبة الواردين الى مناهلها اليوم قد زاد كثيراً على عددهم قبل دخول الايطاليين الى رومية فقد بلغوا في اوائل السنة المدرسيَّة ١٩٢٣—١٩٢٤ الى ١١٣٩ دارساً وكلُّهم منكبُّون على العلوم العليا دون درس الآداب اللسانيَّة . وهؤلاء الدارسون ينتمون الى جميع الدول الاوربيَّة والاميركيَّة . وقسمٌ كبير منهم ابناء رهبانيَّات وجمعيَّات مختلفة تُنيف على ستين رهبانية او جمعيَّة اكليريكيَّة . فلا شيء اوقع في النفوس من أن يرى المراقب كل صباح هؤلاء الطلبة بملابسهم الخاصَّة وازياء رهبانيَّاتهم العديدة الالوان والاشكال تدلُّ ملامحهم ولهجاتهم على مختلف بلدانهم وهم يهرعون بكل نظام ليحضروا دروس الجامعة الغريغوريَّة

وقد خرج من هذه الجامعة في هذا القرن الاخير كما في القرنين السابقين عدد عديد من مشاهير الرجال الذين يشار اليهم بالبنان في كلّ اصقاع اوربَّة بينهم الكرادلة امراء الكنيسة الرومانيَّة والاساقفة الذين شرَّفوا العالَمين بفضائهم وفضيلتهم والكتبة المتضلعين والعلماء المبرّزين . وكفى هذه المدرسة فخراً انَّ ثلاثة من احبارها الاخيرين تخرَّجوا فيها نريد بهم الطيّبي الذكر البابا لاون الثالث عشر

وبندكتوس الخامس عشر ثم إمام الاحبار الجالس اليوم سعيداً على كرسي الخلافة البطرسيَّة بيوس الحادي عشر . وقس عليهم كثيرين من المعاصرين الذين تدلُّ عليهم آثارهم الجليلة في كلّ الفنون وينشرون حيثما حلُّوا اصحّ التعاليم الدينيَّة والادبيَّة ويوثّقون روابط الولاء والحب مع الكرسيّ الرسولي وائمَّة الكنيسة

ولا عجب من هذا الإقبال على الجامعة الغريغوريَّة وقد علَّم فيها اكبر نوابغ العلوم الكنسيَّة في عصرنا . اشتهر منهم في اللاهوت النظري الكرادلة اليسوعيُّون فرنزلين ومازلّا وبيليو والآباء بلمياري وسكيفيني وكلوتغن وبيرُّوني وباسَّاليا . وفي اللاهوت الادبيّ الابوان غوري وبلّريني . وفي الفلسفة تون جيورجي وليبراتوري . وفي الحقّ القانوني الاب تاپارلّي والاب فرنسيس ڤرنز الذي صار رئيساً عامًّا على الرهبانيَّة . وفي شرح الكتاب المقدَّس الاب كورنلدي وپتريزي . وفي الطبيعيَّات الاب پيانشياني . وتآليفهم تشهد لهم بالتقدُّم على سواهم

امَّا المرصد الفلكيّ فقام برصوده رجال ممتازون منهم الاب ڤيكو والاب فرَّاري ولاسيَّما الخالد الذكر الاب انجلو سكّي الذي روينا ترجمتهُ وخلاصة اكتشافاته الفلكيَّة العديدة بنسبة السنة الخامسة والعشرين لتذكار وفاته (المشرق ٦[١٩٠٣]: ٩٦١–٩٧١) . ولمَّا اغتصبت الحكومة الايطالية هذا المرصد ورخَّصت للاب سكّي ان يواصل فيهِ اعمالهُ كعالم خاصّ لا كراهب يسوعيّ أبى ذلك نافرًا وفضَّل ان يحيد عنهُ كاخوته المضطهَدين . ولمَّا دُعي اليسوعيُّون بدلًا عنهُ الى ادارة المرصد الفاتيكاني البابويّ فاجابوا بملء الرضى

وكان غيرهم من الآباء يبحثون عن الآثار المسيحيَّة في دياميس رومية فسبقوا العلَّامة دي روسّي بما وقفوا عليهِ من العاديَّات النصرانيَّة الفريدة نخصّ منهم بالذكر الابوين يوسف ماركي الذي عنهُ اخذ دي روسّي وغاروتشي مصنّف ستَّة مجلَّدات ضخمة في آثار المسيحيين الاوَّلين . وكان الاب انجلو ماي وخلفهُ الاب هرله ينظمان المكتبة الفاتيكانيَّة ويستخرجان كثيرًا من كتابات القدماء المفقودة وقد اقيم كلاهما الى منصب الكردينالية

وكان تلامذة الجامعة الغريغوريَّة يستفيدون من علوم هؤلاء الاختصاصيين فيدرسون عليهم العلوم الرياضيَّة وعلم الهيئة وعلم طبقات الارض وعلم الآثار الدينيَّة .

ولا يزال الى يومنا بعض المعلّمين في تلك الجامعة يعتّزون بتدريسها

فحقّ اذن لرؤساء الجامعة الرومانيّة الغريغوريّة ولسائر آلها ان يشكروا الله في هذه السنة على قطعها هذا الشوط من حياتها المستجدّة ويُسرّوا بما ادّتهُ للكنيسة ولعالم العلم من الخدم الجلّى ويبعثوا هممهم لمباشرة شوط آخر في هذه الحلبة الجايلة ولنا الامل الوطيد انهُ سيكون اجلّ شأناً واوسع نفعاً . ولهم في براءة الحبر الاعظم التي وجّهها اليهم وعدّد فيها مآثرهم الفريدة احسن ضمين لتحقيق آمالهم لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الاوفر والاعمّ

ونحن الذين نشاهد عن بُعد ما تأتيهِ الجامعة المذكورة من الفوائد الجمّة لخدمة الدين والآداب نضمّ صوتنا الضعيف ونهنّئ اخوتنا الكرام لبلوغهم الى هذه السنة اليوبيليّة ونتمنّى لهم رقياً ونجاحاً متواليَين طالبين من مراحمهِ تعالى ان يحقّق امانينا بشفاعة منشئ هذه الجامعة وحارسها الامين لدى عرشهِ تعالى آمين

اوراق الخريف المتناثرة

بقلم فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي العربيّ في كلّيّتنا

حشد الخريف جنودهُ الجوّية لمحاربة الارض فصفرت رياحهُ، وزمجرت زوابعهُ، واحتكّت غيومهُ المتكاثفة فسطع البرق، وقصف الرعد، وضُربت الارض بالاعاصير الهائلة فتلقّتها بجبالها الشامخة، وصروحها المنيعة تردّ الهجمات، وتهزأ بالصدمات. ثم انقشع الضباب واذا بالمعركة تُسفر عن سقوط الضعفاء الواقفين في طريق المتقاتلين . . رجعت الجيوش سالمةً ولم تترك في الميدان الّا مَن لم تذرْ الحربُ في خلدهِ ولم يفكر عمرهُ في سجالها . تركت الجبال شامخةً، والصروح مرتفعةً، والحصون منيعةً، وألقت في حومة الوغى الاوراق الضعيفة . . . نسفت اوراق الاشجار بقوّتها الهائلة

فرمتها متناثرةً في مهابّ الرياح تدور مع تيار الهواء ثم تتساقط رويداً رويداً فتغطي الارض بكساء اصفر ذابل

رأيتُ كل ذلك من وراء زجاج نافذتي فشاقني المنظر ودفعني تطايُر الاوراق الى معرفة مَصيرها فخرجت على وجهي لافكر في شيء حتى رأيتني في البرية والشمس ترسل اشعَّتها المسائية الضئيلة فتزيد الاوراق اصفراراً. هناك وقفتُ مفكراً وقد تمثَّل لي مشهد الفناء. فردَّدت :

نثرَ الخريفُ على الثرى اوَرَقاتِ فرأيتُ فيها رمزَ موت حياتي

تأملت طويلاً هذا المنظر والاوراق تتلاعب حولي ولا تدري ان لَعِبَها هذا هو لعب الموت، وانها مدفونة تحت الثرى منذ اليوم. فكَّرتُ وفكرتُ ملياً في هذا الانقلاب السريع ثم سألت نفسي حزيناً :

أوَ ليس في البشرية ايضاً اوراق متناثرة تَغُمها عن قريب ظُلمات الموت؟..

أوَ ليس في المجتمع أُناس يشبهون باضمحلالهم البطيء تناثر هذه الوُرَيقات؟..

***

قلت ذلك ثم سندتُ رأسي الى يدي وجلست على حجر غطَّاه لباسُ الارض الجديد فتمثَّلتْ لي اعضاء المجتمع التاعسة واوراقهُ المتناثرة :

رأيت ولداً لا يتجاوز الربيع الثامن. ناعم البشرة، اشقر الشعر، ازرق العينين يجيلهما حوله بخوف وكآبة وعلى ثغره ابتسامةُ المرارة والالم

مسكين فريد ماتت أُمه منذ ثلاث سنين وكان لا يألف النوم الَّا على صدرها فضرب موتُها الضربة الاولى في فؤاده اللين. ثم تزوَّج ابوه فضربه الضربة الثانية. ولم يفقهَ الشيء. بل شاهد امرأةً تُظهر له الابتسام، وتقبلهُ بشوق وتلهّف، فكان ينفر منها ولا يفطن للسبب

مضت السنة على ذلك فرُزق الاب ولداً فرح بهِ الجميع الَّا فريداً لانه عرف حينذاك ان تلك الابتسامات كانت سطحيَّة، عرف ان القُبلات العديدة كانت تصنُّعاً ومراءاة، عرف السرّ في تلك البرودة التي كان يحسّ بها في شوق هذه المرأة، واخيراً عرف انها ليست أمهُ... ولاول مرَّة دخلت الغيرة فؤاده فدخل غرفته

منخفض الطرف حزيناً . وظهرت من ذاك الوقت على ثغره تلك الابتسامة المرّة

هذه نفس تاعسة اتاها الحزن صغيرةً وسيرافقها ذكرهُ كبيرةً . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

اتت ماري عالمنا ومحبة اللانهاية تجذب قلبها الحسّاس فترفعه الى ما فوق ترعرعتْ فاكتنفتها العلويات ، وشغلت دماغها الافكار السامية ، فكانت بين رفيقاتها كيوسف بين اخوته

دخلت مدرسة الراهبات فاذا هي كالشمس في بُرجها ، والزهرة في كمّها . . . اذا تكلمت اصغى رفيقاتها لما تقول ، وان سكتت تهيّبنَ سكوتها فجلسنَ امامها معجبات . حرّكت الابتهالات العديدة ما في قلبها من قوى العلاء المكنونة ، فاصبحت ولا غاية لها الّا الاندماج في سالك التضحية العجيب ، وحمل خشب الصليب ، وراء من مهّد للمساكين طرق التعزية والخلاص

عرف اهلها بالامر ففار فائرهم ، واضطربوا كما لو ان صاعقة هائلة سقطت على أسّ بنيانهم . هاجوا وغضبوا وطلبوا البنت مراراً فردّت ماري رسلهم خائبين . اخيراً اتوا الدير في ليلة اثقل ظلامها الجفون فاختطفوا البنت بين لاعن ، وصاخب ، ومجدّف ، فالقوها في حجر امّها ، التي لحبّها السطحي المزعوم ، كانت اشدّ المعارضين والمعارضات عناداً . . .

قُضي الامر ، وفُتّش للمسكينة عن عريس ، فزُفّت اليه دون تمحيص في حفلة سُرّ بها الجميع الّاها . . . كانت تسمع التهاني العديدة وقلبها يقطر دماً ، وعينها تذرف دماً ، متجهةً نحو عريس لا بشري يحيطها بعناية لا تزول

مضى شهر العسل في عُرف الجميع ، وشهر الحنظل في عرف ماري ، فاذا بجيب العريس افرغُ من فؤاد امّ موسى ، واذا به يشدّ الرحال الى ما وراء البحار ، حيث يرى الذهبَ مكوّماً فيغرف منه ويعود . . .

سنوات ستّ مضت عليها في انتظار خبر من العالم الجديد ولا خبر . وكانت قد رجعت الى بيت ابيها غريبة مستحية ، وقد كسر قلبها واثّر الحزن في جسمها فكأنها بنت ستين . ولا تعزية لها سوى ما كانت تسمعه من الكلمات القاسية ، والهمسات

الخفية المؤثرة من اللواتي كنَّ يزرنها قصد تخفيف عذابها ... كنَّ يجتمعنَ لتسليتها فيتوشوشنَ ، والله ادرى بوشوشة النساء ، بانهُ تزوج هناك ، وانهُ لا يُعرَف لهُ مقرّ . وانه ... وماري تسمع صامتة ...

الى ان ضاقت بها حِيَل الاصطبار ، ولم تعُد ترى في هـذه الارض من ملجأ ، فشخصت ببصرها طويلاً الى العلاء ... ثم قامت ، وتحت ستار الغروب ، انسلّت وحيدة تقطع الشوارع بقلق وخوف ... ولم تشعر الّا وهي منطرحة على مركع في كنيسةٍ طالما ردَّدت جدرانها صدى صوتها الرنّان ...

حدّقت طويلاً بالمصلوب دون ان تقدر على تحريك شفتيها ، حتى جُذبت عواطفها الى ما فوق ونسيت كل ما حولها فلم تنتبه بعد وقت طويل ، الى اطفاء الشمع وقفل النوافذ ... وبينا هي غرقى بابتهالاتها اذا بيد لطيفة وُضعت على كتفيها ، فافاقت مذعورة ، ولم تلتفت حتى عرفت معلّمتها القديمة تنبهها الى الخروج ... تأملتها وقد جمد الدمع ، وتقلّص الجفن ، تشهقت شهقةَ التأسف الشديد ، وبصوت جمع نبَرات الحدّة ، واليأس ، والثورة ، صاحت :

آه ! لولا جَوْر الاقارب لعشتُ مثلكِ سعيدةً في ظلّ المذابح وحمى الدير ...

ثم سكتت فجأة مُذعنة لحكم الله القدير واردفت بصوت خافت جافّ :

اللهمّ ! لتكن مشيئتك لا مشيئتي !

هذه مسكينة جنى عليها عناد اهلها وكم جنى عناد الاهل على الابناء ! ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

شعره طويل منفوش ، عيناه غائرتان ، ورأسهُ منحنٍ على منضدةٍ عتيقة فوقها بعض اوراق مبعثرة

جرى قلمهُ طويلاً على قِطَع الاوراق ، فكتب ، واصلح ، وسوَّد ، وبيَّض ... ثم اخرجها عصماء تختال جمالاً في بردها القشيب

قصيدةٌ قلّما اخرجت المطابع مثلها ، نسّقها ونظمها في الظلام ، وكتبها على ضوء السراج تلبيةً لطلب احدى الجرائد ، وقد وعدتهُ بمكافأة جزيلة يحسّن بها احوالهُ . سار بها عند الصباح الى المحرّر ، وقلبه مفعم بالآمال ، فدخل المكتب ووقف وراء

المنضدة ، وقدمها بيد ترتجف فرقاً ، وجبينهُ ، على رغم برد الشتاء ، ينضح عرقاً

قرأ المحرّر القصيدة بعدم اهتمام. وبعد تأمل طويل ، فتح شفتيه وقال : بكل أسف . . . — فوجبَ قلب المسكين خوفاً — بكل اسف اقول اني لا اقدر على نشر هذه القصيدة فان روحها تخالف روح جريدتي ، وقد نسيتُ بالامس ان اشرح لك مبدأنا فالمعذرة . . .

وقبل ان يفوه الشاعر المسكين بكلمةٍ اردف المحرّر ماداً يده :

مع السلامة ! . ان شاء الله تكون الثانية احسن !

تناول المسكين قبعته التي لم يعُدْ يعرف لونها الاول وخرج والخيبة تُرجف قدميه

زار عدة جرائد والفشل يرافقه بحجة ان الجمهور لا يفهم القصيدة ، حتى كانت النتيجة ان مدير احداها تقبّل القصيدة مقابل نصف ليرة بشرط ان يتنازل المؤلف عن اسمهِ

عند ذاك تراجع الشاعر كاسدٍ فقدَ شبلهُ ، وبرقت عيناه بنور غريب فخرج دون ان يسلم . . . سار مسرعاً الى مرقده وكان قد امسى ولم يذق الطعام بعد . . . فقرأ القصيدة مرات ومزّقها حنقاً ، وعمد الى قلمهِ فكسّره على المنضدة . . . ثم القى اللحاف على رأسهِ ونام غارقاً في بحار اليأس القاتل . . .

هذا مسكين لم ينصفه الناس فذهب ضحية الامل الباطل والجهل . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

سعالٌ جافّ يمزّق سكونَ الليل البهيم . . .

أنّاتٌ متواصلة تقطع نياط القلب برنينها فتوقف على الطريق من كان متأخرًا في الظلام

من النافذة الواطئة ، كان يدخل نور القمر بطيئاً فيتماوج فوق سرير ابيض تململَتْ فيهِ فتاةٌ بنت عشرين . تأملت البدر سافرًا فتذكرت يوم كان خطيبها يشبّهها بالبدر لطفاً وبهاء

كان عهدٌ ومضى . . . ولم تكد تحلم بالسعادة المنزلية حتى رأت حلمها الجميل يتحوّل الى حقيقة هائلة . لم تكد تشاهد النور العائليّ حتى حالت بينها وبين ذلك

النور ظلمات القبر المدلهمة. لم تكد تفكر بحنو الامومة حتى فاجأها ملك الموت بقساوة أنستها ذلك الحنو

كانت هنريت ذات جمال طبيعي يوقف المستعجل في طريقه. كثُر حولها الطلاب وهي صغيرة فخشيت على قلبها من الضياع في مجاهل الهوى فاقترنت في محطة بشاب رُبط اهليا واهله بعرى الصداقة منذ القديم. شاب من رآه ورآها في المتنزهات صاح معجباً:

« فلم تكُ تصلحُ الّا لهُ ولم يكُ يصلحُ الّا لها »

ولكن سرعانَ ما رأت نورَها يتضاءل... أنّت، وتنفلت، وهجرها النوم. فكان ذلك بدء المرض المشؤوم، واخذت تسيل كالشمعة الصفراء في مهب ريح سموم

أبت نفسها الكبيرة ان تغش خطيبها فتركته على الرغم منه، ودموعهما على الخدود، ورأساهما يلتويان حزناً. ثم رجعت تتململ في فراشها منتظرة سقوط آخر ورقة من اوراق الخريف لتدفن نفسها معها

هذه زهرة نضرة قصفها المرض في عهد الشباب ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

وصل الشيخ يتوكأ على عكازه الى المتنزه. فاحتال للجلوس واسند ظهره الى خرنوبة كبيرة، وجعل يجيل الطرف في فتيان يلعبون بكرة القدم، وبرقت عيناه بنورٍ غير مألوف. سمع ضحكهم وجلبة سرورهم، فتقلصت شفتاه، وأنّ طويلاً، ثم اخرج منديلاً مسح به لؤلؤتين من بقايا دموعٍ اغاضها الحزن والاسى

كان للحزين وحيد يافع لا تشبع العين من النظر اليه، ولا تملُّ الاذن سماع حديثه. كان محيي أمل ابيه وموضع تعزيته في هذه الدنيا. خرج من المدرسة ظافراً وقصد الاصطياف وملء النفس آمال. فابى ملك الموت ان يُنعم اباه به طويلاً، فهوت بهِ سيارة جموحة في ليلة افل قمرها وغارت نجومها ...

واصبح المسكين اذا شاهد النور ظنّ انه يرى ابنه، واذا سمع تغريد العصافير توهّم محادثة ابنه، واذا تراءت له سيارة من بعيد رجف فرقاً كانه يرى جنازة ابنه. حتى اخذت روحه بالرواح، فجعل يقصد ملاعب الاولاد علّه ينعشها بتذكارات العاب ابنه ...

هذا مسكين ضربه الحزن في آخر عمره فنغّص عليه الحياة ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

رفعتُ رأسي بعد هذه المشاهد واذا بالظلام قد ضرب سرادقه، فقمت الى مقرّي والنفس حزينة ، والقلب كئيب

تناثرت اوراق الشجر! ... ولكنها ستتجدّد عمّا قريب ، فتزدهر الغصون في الربيع ، وتبدو الطبيعة بثوب جديد قشيب

اما اوراق المجتمع المتناثرة ??? فمتى وكيف تُجدّد ? وما يعيد السرور الى هذا المجتمع الحزين اليوم ? وهل لهذا الداء من دواء ? ...

وكأنّ النسيم العايل حمل بلسماً لجراحي الداخلية فهمستُ والابتسام على شفتي : نعم! نعم ! ستُجدّد ، ويزدهر المجتمع ، وتسري الدماء النشيطة في اعضائنا الذابلة . وانجع دواء لهذا الداء هو ...

الرجاء

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي (صلة لما سبق)

المغار

موقع المَغار على اكمة الى الجنوب تلوح بيوتها عن بُعد بين اشجار الزيتون والصبّار . ومعظم سكّانها مسلمون يبلغ السنّيون منهم نحو مائتين ومن وجهائهم محمد العايده وفندي محمود . وفي المغار ثاثمائة درزي من وجهائهم يوسف حسين شيخ

الدين والشيخ عبدالله السلامه . اما عدد المسيحيين في المغار فيناهز ٤٧٠ نفساً كلهم روم كاثوليك ومن وجهائهم سليمان فارس وسكران ريناوي وجبر ابراهيم العرتول وقد خسرت القرية من ابنائها بالمهاجرة وبنكبات الحرب الكونيّة زهاء ٣٠٠ شخص

وفي المغار مدرستان للصبيان تقوم الحكومة بنفقتها الواحدة للمسيحيين موقعها في جوار الكنيسة ويبلغ عدد تلامذتها ٤٤ والاخرى للدروز وعدد تلامذتها ٢٠

ولا شكّ ان المغار اتخذت اسمها من المغائر العديدة الموجودة فيها اتّخذ الاهلون قسماً منها لسكناهم . ولهم عينٌ يدعونها عين المنصورة واقعة شمالي شرقيّ القرية على مسافة عشرين دقيقة منها دُعيت بالمنصورة لقربها من ضيعة تسمى منصورة ذكرها «جيرين» في كتابه على الجليل (Guérin, : *La Galilée* I, 120) وقد عدد سكانها ٢٠٠ وهم دروز وقد تدلّ فيها غزارة المياه على استيطان الاقدمين لها وتشهد لعمرانهم معاصر الزيت التي لا تزال بادية آثارها في الصخور

وما بين دروز المغار والسنيّين في القرى المجاورة عداوة قديمة طالما سعى صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجار باخماد نارها . وقد حدث في مدة الرياضة ان ثلاثة من اهل المغار المسيحيين مرُّوا بالقرب من سخنين (وهي قرية اسلامية واقعة شرقاً على طريق عكّا) فاغار عليهم بعض سكانها وسلبوا امتعتهم انتقاماً لبقايا دِيةٍ كانت لهم على دروز المغار فجعلوا المسيحيين مسؤولين عن تقصير الدروز في دفع حقّ الدم . على ان المظلومين لم يصبروا هذه المرة ايضاً على التعدّي والجور بل ذهبوا حالًا الى عكا ورفعوا شكواهم الى الحكومة لعلمهم بانها تعامل الجميع بانصاف

وقد افادنا حضرة الاب مرقس خوري دير حنّا عن اسباب هذه العداوة بين القومين قال :

حلَّ تلك البلاد في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة رجل اسمهُ زيدان ولهُ ولد اسمه عُمر ولعمر ولدان ظاهر واسعد فضربوا خيامهم في شمالي سهل البطوف في ارض مسلخيت بالقرب من قرية عرابة وعاشوا بالسلم والوداد مع اهلها السنّيين

فحدث ان مرَّ بعرابة شيخ درزي من قرية سلامة وهي اليوم «خربة سلامة» فرأى فتاةً من اهلها فأحبّها فطلبها من اهل قريتها . فاحتار سكان العرابة بامرهم أيستطيعون ان يرفضوا طلب الشيخ دون اثارة غضبهِ وهل من المروءة والشرف ان

تسلّم تلك الغادة الحسناء الى مثل ذاك المسخ فبلغ الخبر زيدان فقال : اني أكفيكم شرّه عاهدوني على كتمان سرّي واتباع مشورتي . ففعلوا فقال : ادعوا الدروز ليأتوا ويأخذوا العروس فجاء الدروز على عادتهم يغنّون ويرقصون وبيدهم الاسلحة فاحسن اهل العرابة ضيافتهم واستلموا اسلحتهم وتركوهم يتمتّعون ما شاؤوا بالرقص والمسرّات الى ان احتلك الليل ونام الدروز اجواقاً اجواقاً في بيوت القرية فقام حينئذٍ زيدان مع بعض اشدّاء القوم وذبح الدروز ثم زحف مع اهالي عرابة على قرية سلامة فسبَوا وقتلوا وتملكوا الخيل والحلى والزيتون وقويت اذ ذاك شوكة زيدان وانضمّ اليهِ كل شارد طريد طمعاً بالغزو والغنيمة

وليس المقام هنا لذكر قصة الزيادنة وكيف آل الامر بهم الى ادخال البلاد في طاعتهم حتى ظهر ضاهر العُمَر فتملّك فلسطين وتهدّد سلطة الاتراك في سورية بل حسبنا اننا ذكرنا اصل تلك العداوة التي لم تهمد بعدُ نيرانها ولا تزال سبباً لاضطراب حبل الامن في البلاد

الرامة

رافقنا من المغار الى بعض الطريق حضرة خوريها الاب سليمان معلوف فسرنا غرباً بميلةٍ الى الجنوب في اراضٍ غُرست زيتوناً وصبّاراً . وجدنا على الطريق دودة حمراء صغيرة فقال لي الاب : انهم يسمّونها دودة المغيط او البلعوث واذا ظهرت بكثرة دلّت على سنة مطر وخير . وبعد ساعة وصلنا وادي السلامة يجري فيهِ ماء الى طواحين بعضها خراب . وهناك عدة انقاض قال فيها «جيران» (١ انها آثار حصن سلاميس القديمة الذي عزّزهُ يوسيفوس القائد والمؤرخ اليهودي ليمنع الرومانيين عن احتلال الجليل (٢

توجّهتُ شمالًا نحو نبع المياه فرأيت الاطلال على طرفي الوادي كالجنّة الغنـ... ترعى فيها المواشي كلأ الربيع المعطّر الاخضر ثمّ انتهيت الى سهل فقطعت مجرى الـ...

---

١) اطلب كتابهُ في وصف بلاد الجليل (Guérin: *La Galilée*, I., 416)

٢) اطلب كتابهُ في حرب اليهود (B J, II, c. xx)

ودخلت في حقول الرامة نحو الغرب شمالاً الى ان وصلت القرية ساعتين بعد خروجي من المغار

الرامة مبنية جنوباً على قنّة جبل يشرف الناظر من اعاليهِ على بلاد صور وجبال القدس والبحر المتوسط ومدينة صفد وبحيرة طبرية وعلى قرى عرابة وسخنين ودير حنا وعيلبون. من المرجح انَّ هـذه القرية هي «رامة» القديمة الداخلة في حصة بني آشير

زارها «جيرين» (١ في الربع الاخير من القرن الماضي فلم يجد فيها كاثوليكيين امّا الآن ففيها كنيسة للاتين وكنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للروم الارثوذكس وليس فيها الّا خوري واحد وهو حضرة الاب الفاضل انطون الحيحي اللاتيني الذي اضافنا في داره واكرم مثوانا وافادنا التعليمات التالية قال: انَّ اغلب السكان مسيحيون منهم ١١٥ روم كاثوليك ومن وجهائهم جميل نخله و ٣٥٠ روماً ومن وجهائهم حنا اليعقوب و ٨٠ لاتيناً و ١٦٠ درزياً على التقريب

وقد انشئت الرسالة اللاتينيَّة منذ ١٢ سنة كان يتردد عليها الاباء اللعازاريون المقيمون في الطابغة الى ان تعين فيها كاهن من قبل البطريرك الاورشليمي

وعدد المهاجرين يناهز العشرين والبعض من السكان عادوا من المهجر فابتنوا بيوتاً جميلة جعلت الرامة اشبه منها بقرى لبنان الراقية وفيها مدرسة ينيف عدد تلامذتها على المئة يهذّبهم ثلاثة معلمين. والاهالي همة ونشاط فانهم حصروا مياه النبع وجرُّوها بقساطل الى منتصف القرية فتَرِدها الفتيات بلا تعب لقربها من المسكن

عيلبون

عدتُ من الرامة الى المغار فختمتُ الرياضة ومنها ركبت الى عيلبون فقطعت الحقول جنوباً بين اشجار الزيتون التي حُبس كثير منها وقفاً على كنيسة المغار ثم عبرتُ ساقيةً وحولّت السير ميمنةً الى ان بلغتُ عين عيلبون بعد ساعة و ٢٠ دقيقة وارتقيت الى القرية بعد ساعة ونصف من سفري

قد عُرفت هذه القرية عند القدماء باسم قبور الصدّيقين وفيها يُكرم حتى في ايامنا

١) اطلب كتابهُ في الجليل (٣ : ١٢٥)

قبرٌ يزعمون انه قبر النبي هوشع وقد زرتُهُ في غربي عيلبون وهو عبـارة عن احجار ضخمة لا زال بعضها على هيئة نُصب بثلاث درجات تبلغ السفلى منها ١٢ متراً تقريباً من الطرف الشرقي ويقصده العرب فيقبرون موتاهم في جواره ويضعون عليهِ النذور: مناديل وعيداناً من خشب

في عيلبون كنيسة كاثوليكيـة بناها سنة ١٨٨٤ ابو سعد البنّـاء البيروتي وابو نخله الحجار الشويري وهي جميلة على صغرها لأننا وجدنا فيها من النظافة وحسن الاعتناء ما لم نجد مثله في قرى الجليل الّا في قرية دير حنا . فالقربان المقدس لا يزال ليل نهار مصموداً على الهيكل المغشى بالكتان الابيض والحرائر . وصحن الكنيسة مكنوس نظيف واثاثها محكم الصنع . وذلك بفضل وهمّة حضرة الاب الخوري حنا داود المعلم وولده حنا استاذ المدرسة وتمنّينا لو يجري على هـذا المنوال كثيرون من خوارنة الرعايا فيهتمون بنظافة كنائسهم وتزيين هياكلها ولو قصدوا لَما اعتاص عليهم الامر لاسيما اذا استعانوا بخدَم كثير من الراهبات المقيمات في الاراضي المقدّسة

سكان عيلبون اجمعون مسيحيون كاثوليكيون وعددهم ٢٩٠ ووجهاؤهم سليمان جرجس زريق وابراهيم الخوري بولس الاشقر (واصله من دير حنـا) ودياب سرور (من حوران) وجرجس الشوفاني وداود يوسف العيلبوني

على ان الشيطان طغى احد اهل عيلبون فسوّل لهُ لقضاء شهوتهِ ان يجحد دينهُ ويهجر امرأتهُ الشرعيَّة ليأخذ غيرهـا سِفاحاً . ومن العجب ان احد اساقفة الروم الاورثذكس رضي بتزويجهِ طمعاً بالمال . والتفَّ حول العاصي بعض من ذويهِ فركّبوا فوق احـد البيوت جرساً على خشبة وارسلوا شاباً لهُ من العمر ١٨ سنة الى الناصرة حيث ارتسم كاهناً وعاد الى عيلبون ليرعى الرعية الجديدة لكن الاجير ما لبث ان ترك خرافـهُ ولم يكترث لامرهم . فأحسَّ ذوو الالباب منهم بخطاءهم وهم يلتمسون اليوم فرصـةً ليعودوا الى حجر الامّ الحنون وقد يرون حبًا في قلب سيادة المطران غريغوريوس وكثيرون منهم كانوا يتردّدون على الكنيسة أيام الرياضة ليسمعوا كلام الله . بل كان المسلمون يأتون ويزورون كنيسة عيلبون ولا احـد يزعجهم وكان منهم عدّة رجال يقصدون الكنيسة كلَّ مساء لسماع مواعظ الرياضة وكانوا يصغون

باحترام الى الكلام في غاية الانسان القصوى وعن ضرورة الاستعداد للموت ولتأدية الحساب يوم الدين

وقد سنحت لي فرصة ان اجتمع بالواحد منهم فقال لي : « أدخلُ الكنيسة وقلبي قذِر اسود كيدي (واراني يده الفلّاحية السوداء) وأخرجُ بعد الوعظ وقلبي ابيض صافٍ . فيا ليت لنا المسلمين من يرشدنا ويعظنا كما للمسيحيين فلا نعود نكفر ونخطى» . وسألتُهُ عن رأيهِ في دين المسيحيين ؟ فقال : « دين المسيحيين حسن الّا في امر الزواج فانكم لا تسمحون للرجل الّا بامرأة واحدة امّا عندنا فلهُ ما يشاء من النساء . وقد بلغني ان رجلًا من القرى المجاورة اقترن بثماني عشرة امرأة ورزق منهنّ مئة وسبعة وثلاثين ولدًا . فلو كان مسيحيًّا لعجز عن ذلك» . فقلت لهُ : «وكم من مسيحيّ يُرزَق من امرأتهِ الواحدة نسلًا اوفر من المسلم المتعدّد الزوجات . ثمّ ان الراقين من اهل مصر وهي من ارقى البلاد الاسلامية حضارةً شرعوا يطلبون منع الزواج الّا بواحدة . ومثلهم الاتراك الكماليّون» . فتعجب من كلامي كثيرًا

دير حنّا

لم تكن قرية دير حنا من القرى التي ارسلنا اليها راعي الابرشية لنلقي فيها عظات الرياضة وقد سبق الى ارشادها احد اخوتنا اليسوعيين حضرة الاب دي ڤيلنوف قبل عيد الميلاد الّا اننا زرناها لقربها من عيلبون وتلبيةً لدعوة حضرة الاب خوريها الغيور

يناهز عدد سكّان هذه القرية ٥٢٠ نفسًا منهم ١٢٠ مسيحيون و٤٠٠ مسلمون وأعيانهم عبد المجيد الحسين وجابر داود الحبيب وفاضل نجل الامير محمود الفاضل امير قبيلة الفضل

وفي دير حنا كنيسة حديثة العهد اخذوا ببنائها سنة ١٩٠٧ وانتهوا منها بعد سنتين وهي نظيفة يُحفظ فيها القربان المقدس كما في عيلبون

ولمّا دخلنا بيت حضرة الاب الخوري زارنا بعض اهل القرية فرغبتُ اليهم بان يفيدوني شيئًا عن تاريخ بلدتهم فبادر حضرة راعيهم الى تلبية طلبتي وكان قد جمع

ما ثبت لديهِ من التقاليد عن الحوادث التي جرت في دير حنا منذ قرنين فاخذتُ عنهُ ما يلي باختصار

«موقع القرية على قمة رابية يحدُّها جنوباً جبل حزوه ومنهُ يشرف الناظر على البحر الابيض غرباً وسهول حوران وبحيرة طبرية شرقاً . ومن منحدر الرابية الشمالي تخرج عين النجيمية وهي تبعد مسافة ربع الساعة تقريباً عن المساكن يَرِدُها الاهالي الى ان تشحَّ فيعمدون حينئذ الى آبارهم . في شمال البلدة سهل فسيح طوله شرقاً بغرب يزاهي الميلين والنصف وعرضهُ شمالاً بجنوب ميلاً . وفي شرقيهِ بركة شادها بنو ضاهر طولها ٢٥٠ متراً في ٧٠ عرضاً تستقي منها المواشي

« وللقرية اربعة ابراج اثنان شرقيان واثنان غربيان تهدَّم جانب منها . حاصر الجزّار دير حنا وضربها بالمدافع من الشمال فلم يقوَ عليها فعلِق بحفر مغارةٍ لعلَّهُ يتسرَّب اليها ولا تزال معروفة الى يومنا بمغارة اللغم فلم يفلح بسعاه الى ان عنَّت لهُ فرصة دخل بها المدينة عنوًا

«وذلك ان الرجل الذي كان بنو ضاهر بعد مقتل سعد العمر حاكم دير حنا فوَّضوا اليهِ بامر حماية القرية (وهو على ما يقال من اجداد سليم سعيد البيطار الساكن اليوم في قرية مغار حزور) كان اقام على الاسوار خفيرًا من اهل البلد ليسهر ويراقب حركات العدو وصدف ان المفوّض مرَّ ليلاً يتفقد شؤون الحصن فرأى الخفير نائماً فضربهُ ضرباً مبرّحاً وتهدَّده بالموت . فالقى الخفير بنفسهِ من اعلى السور واستسلم الى الجزار واخبره ان الاهالي في ضيق عظيم يشكون ظلم المفوَّض وهداهُ الى مدخل القلعة . فما اصبح الصباح الّا واحاطت جنود الجزار بدير حنا وتقدَّم واحد منهم ونادى المفوَّض ففتح هذا نافذة غرفتهِ فرماهُ الرجل برصاصة وسلّمت القلعة فأمن الجزار الاهلين على ان يُخلوا المدينة ويحمل كل واحد ما يستطيع من المتاع على ظهرهِ فوضعت النساء حُلاهنَّ في قعر اسرّة الاطفال وأضجعن فيها الاطفال وحملنها على رؤوسهن وخرجنَ

«وكانت هناك كتابة منقوشة على حجر تخلّد ذكر سعد العمر باني قلعة دير حنا ومُشيّد جامعها سنة ١١٤٤ هـ فاقتلع الجزار الحجر المنقوش امَّا الكتابة فاليك نصَّها :

بـاني هـذا الـدير سـعـد العمرْ برجوك يا مولاي جنة الفردوس تكون المقرْ

بيوته وحكره تكون لمجده غرشاً على كل بيت كبير ونصف على كل بيت صغير
قد كان للرابوعي فيه تاريخه رام فيه كل مجد واقتدر

واما الدير الذي بُنيت مكانهُ القلعة أصله من الصليبيين فاقام بنو ضاهر القلعة مكانهُ واحاطوها بسور يبلغ عرضه مترين في المحلات المعرَّضة لهجمات العدو وفي السور ابراج يُصعد اليها بالمراقي وفي داخل القرية ستون بئرًا استعدادًا للحصار وكذلك في السور صهاريج وآبار

ودار سعد العمر في السرايا مساحتها ٧٠ مترًا من الشمال الى الجنوب باربعين من الشرق الى الغرب فيها عدَّة قاعات معقَّدة ولها ايوان مع عمودَين. وكان البناء ذا ثلاث طبقات من الحجر الاحمر والابيض اليابس وهو منقوش مصقول وقد هُدمت طبقتهُ الثالثة ومعظم بنائهِ الغربي وكانت الطبقة السفلى المعدَّات الحربية والعليا للسكنى يُرتقى اليها بدرج داخل البناء لا يزال موجودًا

ويزعم البعض ان آثار الدير القديم الذي اليهِ نُسبت القرية هي في جوار الكنيسة الجديدة في موضع بيت اولاد محمد ابراهيم نصره والله اعلم

مرج البطوف

اغتنمنا فرصة إقامتنا في عيلبون للتجول في انحائها فخرجنا صباحاً بصحبة حضرة الاب خوريها وهو شيخ وقور محبوب من اهل قريتهِ وهو بينهم كالقاضي والزعيم سرنا معه نحو الجنوب فاجتزنا حقولًا يحرثها الفلاحون فحيَّيناهم بالتحية الجارية عندهم: «صحَّ بدانهم» فاجابوا «سلم بدانهم»

سلكنا طريقاً ينحدر من منعطف اكمةٍ فكشفنا على مرج البطوف واسمهُ الاصلي ابو الطَّوف اشارةً الى كثرة المياه التي تنصبُّ فيهِ من الآكام المجاورة وتتجمَّع بحيث لا يستطيع احدٌ اجتياز مستنقعات المرج . وهذا السهل من اخصب سهول فلسطين هيئتهُ بيضويَّة الشكل عرضُها الاعرض يتسع من الشمال الى الجنوب مسافة نصف ساعة للماشي وطوله الاطول شرقاً فغرباً لا يُقطع الّا بثلاثة ساعات وفي وسطه اكمة من صخور تسمى الجلّات واراضي البطوف ملك اهالي العرابة وسخنين وعيلبون على ان الاكثر خصباً منها يملكهُ المسلمون وكانوا يزرعونها قمحاً وقطناً اما اليوم فلم

نجد فيها الَّا قمحاً . وجزء عظيم من اراضي العرابة بوار

دخلنا في المرج فسرَّحنا النظر في ارجائه . يحيط بهِ شرقاً عيلبون وخربة ام العمد وشمالًا خربة ياطو وخربة قانا (البطوف) وغرباً كفرمنده وخربة الرومية وجنوباً خربة الرومانية (وهي ملك المطران السيد غريغوريوس حجار) وقريتا العزيز والبعينة

وقد تقصد السابلة الى شفاعمر عن طريق البطوف فيمرون بذيلهِ الشمالي الى كفرمنده الى شفاعُمر ولا تخلو هذه الاصقاع من الضباع والغزلان

خربة امّ العمد

ارتقينا شرقاً الى اطلال تغطيها الاعشاب التي تنتجعها المواشي وارضها صخور بركانيَّة ضخمة ترتفع على سياق واحد كانّ موجاً عرمرماً تفجَّر بغتة من بطن الارض فاقتلع الصخور ورماها بعيداً فتجمَّدت وهي تشهد بما احدثهُ فيها الزلزال فعاث في هذه الاراضي ودمَّرها تدميراً

وهذه الخربة احدى المئتين والثلاث اُخَرب التي وصفها العلَّامة جيرين في رحلتهِ الى الجليل وهي أدلُّ دليل على ما نالت هذه البلاد من الرقي والعمران في ايَّام الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة فاصبحت اليوم خراباً يباباً ينعق فوقها الغراب بعد ان قوَّضتها الزلازل واغار عليها بنو الصحراء وانَّما بقي منها بعض الآثار الناطقة بمجدها الغابر

ومن اهمّ آثار امّ العمد معبدها القديم وهذا اشبه بهيكل كفربرعم الذي سبق الى وصفهِ حضرة الخوري ابرهيم حرفوش في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٠٣٤–١٠٣٥) . وكانت وجهة هذا البناء من الجنوب الى الشمال ولعلَّهُ كان ذا خمسة اروقة تفصل بينها صفوف عواميد لا يزال بعضها ملقًى على الحضيض والعمود قطعة واحدة وعلى الارض حصًى مكعَّبة وهي بواقي الفسيفساء التي كانت ارض المعبد مرصوفة بها وهناك ايضاً تيجان عواميد واحجار كثيرة نُقشت عليها رموز ورسوم منها بشكل الحية ومنها بشكل النجوم تُشبه ما يُرى في غيرها من الاثار كما في قبور شفاعمر ونسواها ممَّا يرتقي لعهد واحد . وقد سعى الالمان في زمن الحرب الكونيَّة ان يصلحوا هذا المعبد ويردُّوهُ الى هيأتهِ القديمة فرمَّموا مدخلهُ وعلى عتبتهِ صورة اسدين يتواجهان

وفي غربي الكنيسة رأيت بركةً رميمة وبالقرب منها عدّة نواويس طمست الايام ما نقشه عليها النقّاش القديم من زخارف وتصاوير. امّا المدينة التي كانت مبنية على هذه الاطلال فقد لحق بها الدمار وعلى انقاضها نبت العلّيق والعوسج فصحّ ما عُرفت به اليوم باسم خربة امّ العمد او ان شئت فقل خربة امّ الخراب

وقبل ان نبارحها سرّحنا نظرنا في اربع زوايا الافق فرأينا شمالًا وادي العمد وشرقاً جبل غرين في شماله الشرقي سهل حطين الشهير بوقعة الصليبيين حيث كسر صلاح الدين الايوبي الفرنجَ واسر جيشهم أجمعه وكان العطش قد قتلهم (٤ تموز ١١٨٧) وغنم منهم عود الصليب المقدس وقضى على مملكة اورشليم اللاتينيّة

وفي جنوبي غربي قرية حطين يكرم اليهود والاسلام قبراً يزعمون انه قبر النبي شُعَيب حمي موسى وبالقرب منه شرقاً جبل التطويبات الذي اعلن منه المخلص ناموسهُ الجديد وسنّ شريعة المحبة اسّ الدين الباطن وركن الدين الظاهر ودعامتهُ

طرعان

وبعد ان ختمنا الرياضة في عيلبون سرنا الى طرعان لنباشر مثلها لاهلها فقطعنا آكاماً وودياناً وتركنا على شمالنا غرين ولوبيا وانحدرنا الى القرية وهي مسيحية اسلامية واقعة جنوبي غربي حطين بين طبرية والناصرة شمالي الطريق وعن قرب من كفرقانا. اهل طرعان نحو ٩٠٠ نفس منهما المسلمون نحو ٥٠٠ والباقون نصارى يبلغ عدد الكاثوليك بينهم ١٥٠ نفساً ومن وجهائهم بيت مخائيل سلامه وبيت سمعان ورحّال. واوجهُ الروم بيت سعد بشارة. وللمسلمين بيت العدوي وصباح ودحله وغبن والزرعيني

وعند نهاية الرياضة عرض علينا حضرة الاب الخوري سمعان القنواتي دابّته فركبنا وسرنا لنزور جبل الطور

جبل الطور — كنيسة التجلي الملوكيّة

قطعنا مروجاً وآكاماً خيّم فيها العرب وارسلوا مواشيهم في منعطفاتها وما مرّت ساعتان الّا ونحن في اسفل الجبل المقدس على السكة التي اخترقها الاباء الافرنسيسيون

تسهيلاً لسير الاوتومبيل ولنقل المواد الضرورية لبناء كنيسة تجلّي الرب يسوع

وكنا كلما ارتقت بنا الخيل من كوع الى كوع على منعطف الجبل الاجرد تلوح لنا مناظر اجمل وتنعشنا نفحات نسيم ابلّ واعطر الى ان بلغنا من القمة ذراعا فانشرحت منا الصدور وقرّت العيون

رأينا جنوباً ما بين سهول القمح وشجر الزيتون قرى كفرمصر وندور والداحي ونائين حيث ردّ المسيح الفتى الميت حيًا الى أمّه الثكلى، وشرقاً في جوار الاردن والبحيرة وادي البيرة وقرى عديدة كسيرين وعولم والحدثة ثم نهر الاردن وما وراءه وادي الشريعة ومضايق اليرموك، وشمالاً صفد العليا واطفار الشاغور وعين ماهل وما وراءها جبل الشيخ وقد اكتسى حلّة بهية من الثلوج، وغرباً مرج ابن عامر وقرى دبوري وكسال وتل العدس والعفوله والخط الحديدي الرابط حيفا بالشام

هذه النقطة من البلاد اختارها الاله المتجسد مشهداً وشاهداً لتجليه امام الرسل اصفيائه قال الانجيليّ: (مرقس ٩: ١—٨ ومتى ١٧: ١—١٣ ولوقا ٩: ٢٨—٣٦)

وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا فأصعدهم الى جبلٍ عالٍ على انفراد وتجلّى قدامهم وصارت ثيابهُ تلمع بيضاء جدًّا كالثلج واضاء وجههُ كالشمس وتراءى لهم موسى وايليا وكانا يخاطبان يسوع فاجاب بطرس وقال ليسوع: يا ربّ حسنٌ لنا ان نكون هنا فلنصنع ثلاث مظالّ واحدة لك وواحدةً لموسى وواحدةً لايليا. ولم يكن يدري ما يقول لما كان بهم من الرعب وظلّلتهم سحابة وخرج صوت من السحابة يقول: هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا. ونظروا حولهم بغتةً فلم يروا احدًا بعد الّا يسوع وحده معهم وفيما هم نازلون من الجبل اوصاهم ألّا يخبروا احدًا بما رأوا الى ان يقوم ابن البشر من بين الاموات

انتهت الحرب الكونية فاخذ الاب الجليل حارس الارض المقدسة يجمع المبالغ المالية لتشييد كنيسة على الطور تضاهي ابهى البنايات الدينيّة في فلسطين. وشرع العمّال في العمل وقد اوشكوا الآن ان ينجزوه. وقد رأيناهم مئات يحومون كالنحل في خارج الكنيسة وداخلها وما بينهم الايطالي والوطني من ابناء الفن الحذّاق في النحت والنقش وشغل الفسيفساء. اما المهندس الاول فهو بارودزي وقد رتّب البناء على انقاض المعبد البيزنطي القديم ودعائمه واستعمل الطرز الهندسي المألوف في الفن الروماني السوري في عقد القناطر، وقد جعل للمعبد ثلاثة اروقة وصدّره بمغارة على شبه المغارة التي في كنيسة البشارة في الناصرة. وقبل ان يسد المغارة نحو المشرق لاحظ

انها مفتوحة ككوة عظيمة على السماء والارض يطلّ الزائر منها على الآكام والرياض فأبى الّا ان يتركها مفتوحة فيخال الناظر في اول لمحة ان ما يراهُ فيها هو تصوير اصطناعي ولا يلبث ان يتحقق انها الطبيعة نفسها تشترك معه في الصلاة

والمعبد فخيم يغشيه المرمر الابيض ويرى من بعدٍ كأنه طائر عظيم ابيض واقف على ناصية الطور، بل كأنّهُ بقايا السحابة التي سُمع منها صوت الآب

لو اردنا ان نأتي بشيء من تاريخ جبل الطور لطال بنا الامر اذ لا حجر فيه الّا ويذكرنا بأحداث جليلة وقعت هناك منذ عهد بني اسرائيل الى عصورنا الاخيرة. وانّما نكتفي بذكر القتال الشهير الذي وقع ما بين بونبرت والاتراك في هذه الاصقاع لقربه من عهدنا

كان بونبرت قد استولى على مصر وزحف على سوريا وضرب الحصار على عكا في ١٨ اذار سنة ١٧٩٩ فزحف من الشام عشرون الفاً من الاتراك واقاموا في شمالي جبل الطور الغربي فالتقى بهم القائد الفرنساوي كليبر في شرذمة قليلة وكان قد فصل عن الجيش ليراقب حركات العدو واوشك ان يهلك اذ دوت طلقة مدفع بشّرت بقدوم بونبرت فاغار حينئذٍ الافرنسيون على الاتراك وطوقوهم وكسروهم بفضل حنكة نابوليون بآداب الحرب

قضينا في جبل الطور ساعات هنيئة شائقة اوجبت علينا الشكر لحضرة الاب رئيس دير الفرنسيسكان لجميل ضيافته الاخوية وحسن استقبالهِ

قانا الجليل او كفرقانا

قانا قرية شهيرة بالاعجوبة الاولى العلنيَّة التي صنعها المسيح اذ حوَّل الماء الى خمر (يوحنا ٢ : ١—١٥) وهي ايضاً مسقط رأس نتنائيل الذي دُعي ليدخل في مصاف الرسل الاثني عشر واسمهُ برتلماوس

تبعد قانا ساعة عن طرعان وساعة ونصفاً عن الناصرة وموقعها على الطريق الكبرى يبلغ عدد سكانها ٦٠٠ المسيحيون منهم ١٥٠ روم كاثوليك و ٦٠ لاتين و ٢٥٠ روم ارثوذكس و ١٠ بروتستانت والباقون مسلمون. وينتمي المسيحيون الى بيت الغريّب وعقل (وأصلهم من اميون) وخشابون وشحاده ودانيال والمسلمون الى

بيت طاها وحمدان والزريقي وعباس والخطيب والعواودة

ويكرم الزوار في كنيسة الاباء الفرنسيسكانيين المكان الذي تمت به اعجوبة المسيح ويكشفون به من طاقة على ارض الكنيسة القديمة التي بُنيت في القرون الاولى ورُصفت بالفسيفساء. ولم يزل مكتوباً فيها بالعبرية اسم المحسنين الى المكان المقدس

ومن اجلّ اثار قانا النبع الذي ورده الخدّام ليملأوا الاجاجين فهو في مدخل القرية الغربي يجري ماؤه ويطفح في حوض من حجر أُخذ من ناووس قديم ووُضع في هذا المكان لتستقي منه المواشي . وهناك ايضاً اجّانة يزعمون انها احدى الاجاجين الستّ التي تحوّل ماؤها خمراً

رينه

موقعها في منتصف الطريق بين الناصرة وكفرقانا . القينا فيها عظات الرياضة للروم الكاثوليك واللاتين معاً ورأينا فيها من غيرة الابوين الخوريين وحسن الاتفاق ما بين الطائفتين ما سرّنا وعزّانا فكان الابوان الجليلان اغناطيوس القادري ومرقس دالمديكو يبذلان سعيها باجتذاب المؤمنين لسماع كلام الله فكانوا يؤمّون الكنيسة كلّ مساء بعددٍ عديد

كانت رينه خلواً من الكاثوليك في اواخر القرن التاسع عشر لكن غيرة الاب المرسل اللاتيني مونيه (١٨٧٨–١٨٩٣) ردّت الى حضن الكنيسة كثيرين من اخوتنا المبتعدين عنها . واليك عدد الطوائف المسيحية : الروم الكاثوليك ١٢٦ واللاتين ١٠٠ وكلهم ينتمون الى بيت ابي رحمون وسكران ومنصور وشحاده وموسى وابي حنا يوسف الشائب . ثمّ الارثوذكس نحو مئتين ومن اعيانهم جرجس الخوري وايوب ابو يوسف . اما المسلمون فعددهم ٣٥٠ ومن وجهائهم ديب عبد الرحمان (المختار) وثمر الاحمد علي

تجوّلنا في انحاء القرية فلم نجد فيها من الآثار القديمة سوى عدة نواميس محفورة في زوايا الآكام الّا انه لم يعثر احدٌ بعد على كتابة تفيد شيئاً عن تاريخ البلدة . وانما ذكر كتبة الفرنج موقعة حدثت في ١ ايار سنة ١١٨٧ في الغرب من عين الجوزة

شمالي رينه قاتل فيها الصليبيون وعددهم ٧٠٠ طليعة جيش صلاح الدين الأيوبي المؤلفة من ٧٠٠٠ جندي فهلك الصليبيون جميعاً الّا استاذ الهيكليّين الاعظم وثلاثة من فرسانه

مشهد

أدّى بنا تجوُّلنا الى قرية المشهد وهي جتّ حافر القديمة وطن يونان النبي (٤ ملوك ١٤ : ٢٥) ذكرها القديس هيرونيموس في مقدمته على سفر يونان فقال : «جتّ في حافر ضيعة صغيرة تبعد ميلين عن صفُّوري (١ يجدها القاصدون الى طبرية على طريقهم وفيها قبر يونان» . وتقليد الاهلين على اختلاف اديانهم يؤيد هذا القول وكلهم مجمعون على ان في هذه المحلّة مسقط رأس ومدفن النبي يونان

تقرَّبنا الى القرية فعثرنا في طريقنا في وسط احد الحقول على حجر من الظرّان المنحوت الراقي الى العهد السابق للتاريخ . وقد افادني رفيقي حضرة الاب دالمديكو انهُ قد اصاب غيرها مرارًا في تلك الجهات . دخلنا القرية وزرنا الجامع وهو قبو بسيط حقير معلّق فيهِ فانوس وفي جانبهِ بعض الكتب الدينيَّة . وسألنا عن السكان الوجهاء فذكروا لنا الشيخ عبد الحليم وسليماً العبد ابن الشيخ القديم وفي بيتهِ مضافة لاستقبال الضيوف اذا حلُّوا في القرية

والقرية المشهد نبع يشربون منهُ حتى اذا شحّ عمدوا الى الآبار . ثم عدنا الى رينه ومررنا بين حقول القمح واذا اكثرهُ ذاوٍ مصفرٌ لأن دودةً عَلِقت بهِ واذا لم تمطر السماء لتقتلها يُخشَى على تلف معظم الموسم

يافا الناصرة

قبل ان نأتي على ذكر الناصرة مدينة العذراء افضّل ان افيد القرّاء الكرام عمّا وجدته في يافا المنسوبة الى الناصرة وهي قرية واقعة في تخوم هذه المدينة غرباً لا تبعد عنها الّا ثلاثة ارباع الساعة وهي آخر محطّة ارسلني اليها راعي الابرشيَّة

ويافا هذه قرية تدلُّ على قدمها آثارٌ عديدة تُرى فيها كالنواميس المحفورة في

---

١) تبعد عن صفوري ثلاثة اميال لا ميلين عن المشهد

الصخور وقطع العواميد والتيجان. وبين صخورها حجرٌ نُقش عليه صورة منارة (شمعدان). وقد ذكر المؤرخ يوسيفوس هذه القرية فقال انها كانت مدينة ذات شأن نحو السنة الستين قبل المسيح ثم فتحها الرومان تحت قيادة طيطس فقتل اهلوها بعضهم بعضاً لئلا يسقطوا تحت حكم اعدائهم الوثنيين. ويسكن اليوم في هذه القرية من الروم الكاثوليك ٢٠٠ ومن اللاتين ١١٠ ومن الارثذكس ١٥٠ ومن المسلمين ٣٠٠. وفيها مدرسة للصبيان تحت ادارة الاب الخوري البطريركي اللاتيني ومدرسة للبنات تحت ادارة راهبات الوردية وفيها للآباء الفرنسيسكان كنيسة شادوها على اسم الرسولين يعقوب ويوحنا ابني زبدى

وراعي طائفة الروم الكاثوليك هو الاب الفاضل الخوري مخائيل الي عراج ومن وجهائهم بيت الزعاتري واصلهم من بني نمر من شرقي الاردن. وغيرهم ينتسبون الى بني هزيم وللاسلام حمولتان حمولة الخطباء واصلهم من الكنير التابع لجبل نابلس وحمولة الخليلية واصلهم من خليل (حبرون) مدينة ابرهيم الشهيرة

باشرنا في يافا رياضة للكاثوليك اقبل عليها جمهور كبير. وكانت النساء في ساعات الفراغ يشتغلنَ بطلاء بيوتهنَّ بالكلس لان الحكومة تهدَّدت بالحبس والجزاء النقدي كل انسان لم يَطلِ بيتهُ في برهة ١٥ يوماً حفظاً على النظافة وعلى صحّة الاهلين لان الكلس يقتل الحشرات التي تأوي الى المساكن وتنقل جراثيم الامراض من الاعلاء الى الاصحاء. هذا ولنا كلمة نقولها في شأن البلاد الفلسطينيَّة وحكمها

بناء على ما سمعناه وشاهدناه يشكو الجميع من الضرائب الباهظة التي فُرضت على الاهلين فان عبئها ثقيل ينوء دونهُ عاتقهم وحالة الفلّاح لمّا يُرثى لهُ في بعض القرى حيث يضطرُّ الى اقتراض ثمن البذار بالربا الفاحش (اربعة او خمسة بالمئة الى ستة شهريًا) وهو يعلّل امانهُ بربح الموسم ليفي ديونهُ فلا يكاد يحصل على ما يؤمّلهُ ولا طاقة لهُ لتحسين ارضهِ بالوسائل الزراعيَّة المستحدثة فهو ابدًا مغلوبٌ في امرهِ

على ان الحكومة تسهر بكل حرص على الامن العام فتضرب باشدّ الصرامة على أيدي المعتدين ولرجال الدرك هيبة في اعين العموم والاملاك الشخصية مصونة فلا تدخل بقرة في حقل الّا وصاحبها حُوسب عنها

وقد اظهرت الحكومة همّة يثنى عليها بتنشيط الزراعة وحسبي ان اذكر ما رأيتهُ

في يافا الناصرة فانَّ الاهلين غرسوا فيها موخرًا ٣٥٠٠ زيتونة ومن ٥٠٠ الى ٦٠٠ تينة ومثلها التفاح و ١٠٠٠ شجرة لوز و ٣٠٠٠ كرمة ولا شك ان الصهيونية مع ما تُلحقهُ من الاضرار بمصالح فلسطين سوف تفيد بعض الافادة لما يبديهِ الفلاح الالماني او البولوني من النشاط في زراعة الاراضي التي حلَّ فيها فيتعلَّم الفلاح الوطني من اليهودي الاجنبي ويأخذ عنهُ همتهُ واساليبهُ فيعيد لهذه البلاد خصبها القديم ان شاء الله

ان المسافر اذا خرج من يافا الناصرة قاصدًا الى حيفا يجد على شمالهِ قريةً يخالها قطعةً من بلاد الفرنج أُلقيت في طرف مرج ابن عامر الشمالي وهي مستعمرة «معلول» اليهودية ابتاعها الصهيونيون من آل سرسق ووزَّعوها على فلاحيهم فاخذ هؤلاء يستثمرونها فكلَّل النجاح سعيهم هناك املاك واسعة على طرف الطريق غُرست فيها اشجار الاوكالبتوس فنمت وارتفعت بسرعة مدهشة وصارت حمايةً للحقول التي وراءها المزروعة باتقان وترتيب . هناك ايضاً صفوف بيوت بُنيت حديثاً تضحك للشمس اسقفتها الحمراء بين الرياض الخضراء . يا ليت فلاحنا يرى ويتعلَّم فيصلح احوالهُ (التتمة لعدد آخر)

رسالة

البطريرك ميخائيل جروه السرياني

في

اثبات عقيدة المطهر

هذه الرسالة الفريدة كتبها في دير الشرفة المثلث الرحمات البطريرك ميخائيل جروه في غرة القرن التاسع عشر بعد ارتداده عن اليعقوبيَّة وأثبت بها حقيقة المطهر من الطقس السرياني ومن اقوال الآباء والكتب المقدَّسة. وقد عثر على نسخة منها خطيَّة حضرة القس باسيل بشوري السرياني البغدادي فاعاد فيها النظر وعُني بتنقيحها وارسلها الى مجلة المشرق. فننشرها بنسبة تذكار

الموتى الواقع في ثاني يوم من هذا الشهر المبارك

نستمطر عليكم أيها الابناء الاعزاء البركات السماوية ونستمد من الله لكم الخيرات الروحية والزمنية ونسأله تعالى بحفظكم ووقايتكم

امّا بعد لمّا كان الله جلّ سبحانهُ قد هدانا السراط المستقيم ودعانا لرعاية نفوسكم العزيزة المفتداة بدم الحمل الالهي اقتضى علينا من باب الذمّة ان نورد نفوسكم العطشى حياض التعاليم الصافية التي تعلمها كنيسة المسيح الجامعة الرسولية. واول حقيقة نثبتها لكم من طقس كنيستنا السريانية وآبائها وملافنتها وكتبها هي حقيقة المطهر الذي يعبّر عنهُ في السريانية بلفظة شيول (ܫܝܘܠ) وبناء عليهِ نقول :

من المقرر المثبوت بالايمان انهُ يوجد ما عدا السماء مقرّ الابرار وجهنم سجن الاشرار محلّ ثالث تسكنهُ انفس صالحة وتقاسي فيهِ عذابات شديدة لكي توفي للعدل الالهي ما عليها من القصاصات الزمنية وهذا المحلّ ندعوه مطهرًا لان النفس تتطهر فيهِ من صدأ نقائصها كما يطهّر الذهب بالكور. ومن المستحيل ان تعرج نفس الى السعادة وهي ملتطخة باوساخ نقائصها مهما كانت خفيفةً كما يوضحه لنا الوحي بلسان يوحنا في سفر الجليان(٢١ : ٢٧) لا يدخلها شيءٌ نجس. وبفم النبي داود (في المزمور ٢٣ : ٤)عند كلامهِ عن ابدية الابرار التي لا ينالها: الّا طاهر اليدين ونقيّ القلب

فمن هذه الاقوال الالهية يلزمنا القول ان للنفس من بعد الموت مكاناً ثالثاً وهذا المكان سواء دعوناه مطهرًا ام سميناه يبوساً وهاوية فالمعنى واحد من حيث الاعتقاد. وفضلًا عن ذلك تؤيد لنا وجود هذا المحلّ القرابين الالهية المقدّمة على المذابح في الكنائس والصلوات من اجل انفس الموتى فبهذه لا تقصد الكنيسة بها اسعاف النفوس الموجودة في جهنم النار لان دودهم لا يموت ونارهم لا تنطفئ وكل مساعدة مبذولة لاجلها تعود باطلة وعديمة النفع . ولا تتحرّى كذلك اسعاف الذين ظفروا بالسعادة الخالدة لانهم حاصلون على كمال الغبطة والراحة الابدية بل الاحرى بنا ان نقول اننا في حاجة دائمة الى استمداد شفاعتهم بما انهم المقربون الى عرشهِ تعالى. واذا ما عثرتم بالفاظ في سياق صلواتنا السريانية تشير الى غفرانٍ او راحةٍ فهذه لا يمكنكم حملها الّا على الانفس المتعذبة في المطهر ولا تطرقنا الى تخطئة كلام الروح

القدس القائل بلسان صاحب الجليان: (لا يدخلها شيء نجس) وحاشانا من هذا الكفر الشنيع فيلزمنا القول اذن ان القرابين والصلوات المذكورة تقدَّم من اجل اسعاف الانفس المطهرية

١ شواهد طقسيّة في حقيقة المطهر

نضرب من ثمَّ صفحاً عن ذكر شهادة الكنائس قاطبةً وحسبنا ان نورد لكم اقوال كنيستنا السريانية التي تعدَّدت في كتبها الطقسية بهذا الصدد فمن ذلك (اولاً) ان كنيستنا تترنَّم مساء كل احد وعيد وتذكار ممتاز بعد صلاة العطر بما تعريبهُ: « ان ماء الحيوة الذي ارسل من الآب ونضح الفتية الثلثة داخل اتون بابل هو نفسه ينضح الاموات في مخادع الجحيم المظلمة ويغفر نقائص عبيده الذين رقدوا على رجائهِ ويورثهم الملكوت الذي لا يزول ولا يحول »

ألا امعنوا النظر يا ايها الابناء الاحباء بهذه الالفاظ: « ويغفر نقائص عبيده » فمنها تستنتجون ان النفس من بعد الموت تحتاج الى غفران نقائصها وهذا الغفران لا نجده في السماء لانه محلّ الانقياء ولا في جهنم لانه محل العذاب الابدي فاذن المراد بمخادع الجحيم المعدَّة لها عن المحل الثالث وهو الذي ندعوه المطهر

(ثانياً) وقد ورد في جملة الصلوات التي نقولها قول كنيستنا معرَّباً: « المجد لذلك الكلام الذي قاله ربنا في بشارته. ان كلّ من يأكل جسدي ويشرب دمي الحيَّ لا اتركهُ بالهاوية لاني لاجله تنازلت وذقت الموت لكي يحيا الى الابد » فتأملوا يا رعاكم الله بعبارتهِ: « لا اتركهُ في الهاوية » والهاوية هنا هي تعريب شيول (ܫܝܘܠ) السريانية التي لا يمكننا حملها في هذا الكلام على جهنم كما سبق القول اذ لا مناص للنفس الهالكة فيها فاذن يجب الاقرار صريحاً ان المراد بها دنا محلّ المطهر

(ثالثاً) ترتل كنيستنا في القومة الثالثة من ليلة الاربعاء البيت الآتي الذي هذا تعريبهُ: « طوبى للذي يقدّمُ الاحياء من اجلهِ القرابين حتى يكتتب اسمهُ في علوّ السماء لانه ان كان موسى قد رسم اسماء الاسباط بالواح الحجر حتى يستمرّ ذكرها امام الله ثابتاً فكم يجب عليكم ان ترسموا بالمائدة المملوة حياةً اسماء امواتكم حتى اذا ذكروا في البيعة هنا يكتتبون في علاء السماء ايضاً ويتنعمون مع المسيح عند

مجيئهِ» . فمن هذا الكلام نُتمم الحجة لتأييد ما نحن بصدده ونقول: ان كان الاموات لا يحصلون على جدوى من القرابين المقدَّمة لاجلهم فعلامَ تطوّبهم الكنيسة وتوجه اليهم هذا الاسعاف ؟ بل ما هي الغاية من حضّها المؤمنين بتقديم القرابين عن انفس موتاهم ان كان لا يحصل منهـا فائدة لها ؟ أفلا والحالة هذه يسوغ لنـا اذ ذاك ان ننسب اليهـا كلاماً تفوَّهت بهِ عن غير معنى ؟ ومن منكم تحملهُ الجراءة ان يشين كنيستنا بنسبة كهذه يضحك منها الجهول؟ فيلزمنا القول اذن ان القرابين والصلوات التي نقدّمها لاجل اخوتنا لهـا فائدة عظمى وفاعلية كبرى لإسعـافهم في النيران المطهرية . ولعلَّ معترضاً منكم يذهب الى القول: اذن يُستنتج من كلام الكنيسة الآنف الذكر ان الانفس لا تلج سعـادة الابرار حتى مجيء المسيح يوم القيامة تبعاً لكلامها: «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئهِ» . وعليهِ نجيب ان كنيستنا تعتقد بخلاص النفس التي تغادر الجسد بحال النعمة حالاً بعد وفاتها ما عليها للعدل الالهي من القصاصات الزمنية في المطهر وهذا يؤيده كلامها الذي اوردناهُ « ويغفر نقائص عبيده الـذين رقدوا الخ» . فاذن يجب ان نحمل كلام الكنيسة «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئهِ» على اشارتها الى قيامة الاجساد عند مجيء المسيح الثاني حين تتنعم الانفس الصالحة باتحادها مع اجسادها

(رابعاً) قد جاء مسطورًا في نافورة القـداس الالهي الكلام التالي المأخوذ من اقوال القديس افرام السرياني الـذي يتلوه الكاهن بعد تشمشت الاموات : «ان كان موسى قد منح الحيوة بدم الحيوانات لروبيل الذي اخطأ(تث ٣٣: ٦)فكم بالاحرى يُغتفر للموتى المؤمنين بواسطة الذبيحة الحيَّـة التي تُذبح من اجلهم » . فهوذا الكنيسة تعلّمنا بلسان احد قديسيها العظام هذه الحقيقة وترشدنا الى الاعتقاد بفاعلية الذبيحة التي بواسطتها تنتشل النفوس من عذاب المطهر الزمني . فايُّ ريبٍ عاد يخامركم من جهة الاعتقاد بحقيقة المطهر ؟ فان كان لذبيحة الحيوانات في العهد القديم هذه الفاعلية لغفران الذنوب فكم تكون الافضلية اعظم لفاعلية الذبيحة الالهيـة في العهد الجديد فضلًا عن ان تلك ما كانت الَّا رمزًا للحقيقة ؟

(خامسـاً) اننا نتلو في فرضنا صباح الثلاثاء بيتاً هذا تعريبهُ : « على جسر النـار يجوز الصدّيقون من محلِّ الخوف الى الموضع المملوّ حياةً حيث يفرح ابراهيم واسحق

ويعقوب الصدّيقون متنعّمين» . ففي هذا الكلام الدلالة صريحة على وجود المطهر . فالجسر الناريّ المعبّر به عن المطهر لا يصدق القول به عن جهنم لان المعذّبين فيها لا يستطيعون الاجتياز منها الى محلّ الحياة حيث يتنعم ابراهيم واسحق ويعقوب الصديقون . وهذا ما تؤيده لنا قصّة الغني في الانجيل الطاهر الذي طلب من ابراهيم أن يرسل لعازر اليهِ . فكان لهُ جواب ابراهيم : «ان بيننا وبينكم هوّة عظيمة » (لوقا ١٦ : ٢٦) فالمراد اذن بجسر النار المطهر الذي تجتازه انفس الصديقين لكي تتطهر من ادران نقائصها قبل فوزها بالسعادة الخالدة

(سادساً) نصلي في فرضنا السرياني مساء الاثنين هذا البيت معرَّباً : «ليكن لنا جسدُك الذي تناولناه ودمُك الحي الذي شربناه جسراً ومجازاً لكي بها ننجو من النار ومن جهنم . ان من امعن النظر في هذا الكلام رأى ان كنيستنا قد ميَّزت محلّين مختلفين بقولها : لكي بهما ننجو من النار ومن جهنم . فقصدت بلفظة النار الاشارة الى المطهر وبكلمة جهنم الدلالة على حبس الهالكين

(سابعاً) نتلو في فرضنا ايضاً في القومة الثالثة من ليلة الاثنين ما تعريبهُ وهو : «ليس ليلٌ الّا وذكرتُك فيهِ على مضجعي وفي الليالي هذستُ بك لانك مخوفٌ . سمعت صوت دانيال يقول : نهر النار يجري من امامك فيا ويلي اني جائز بهِ وذنوبي كثيرة فان لم تشفع فيَّ لدنك نعمتُك فلتحطني مراحمك واشفق عليَّ برحمتك » . فلا ريب ان المراد هنا بنهر النار الدلالة على المطهر الذي بهِ تجوز النفس وهي ترتاع من عذاباتهِ نظراً لكثرة نقائصها فتستغيث من ثمَّ برحمة مولاها الكريم لكي تفوز بنجاتها في السريع العاجل

(ثامناً) ترتل الكنيسة في الجناز الترنيمة التالية على لسان النفس المنتقلة فنرويها معرَّبةً : «ان النفس تقول : قدّموا عوضي قرابين لانهُ لا يوجد شيء مفيدٌ لي كجسد الربّ . فلا يفيدني شيئاً البكاء والتنهدات بل انما يفيدني جسد المسيح . وانتم يا ايها الكهنة اذا ما قمتم للصلوة فصلّوا من اجلي . لكي انطلق واكون مقبولاً إمام منبر المسيح »

ألا انظروا من ثمَّ قوّة الاسعافات المقدمة لأجل الانفس المتعذبة في سجن المطهر وتأملوا باستصراخ النفس وهي في عذاب النيران تستمدّ صلوات الكهنة وتقدمة

الذبيحة الالهية لاجلها لتكون لها معراجاً يرقيها الى سعادتها عاجلاً فلم تطلب البكاء والتنهدات لراحتها لان ذلك لا يجديها نفعاً كما تفيدها تقدمة القرابين اعني القداديس الالهية . أفلا ترون هذه الاقوال كأنها تنبئ بحاجة النفس الى التطهير من ادرانها . والحال ان هذا التطهير لا تجده في جهنّم بالوعة الفساد والاوخام فضلاً عن انقطاع كل امل من نيل الاسعاف فيها فيلزمكم الاقرار اذن بوجود محلّ ثالث وهو الذي يُدعى مطهراً

هذا وما اكثر المواضع في صلوات كنيستنا السريانية الطقسية التي تشير الى وجود المطهر وحاجة النفس المسجونة به الى الصلوات والقرابين فنضرب صفحاً عن ذكرها ونكتفي من ثمّ لاجل اقناعكم ان نسرد ما جاء مسطراً في الفصل الثالث والباب السادس من كتاب الحاوي المقبولة نصوصهُ في كنيستنا السريانية اذ قال في سياق كلامه على تطهير النفس :

«اذا ما فاجأ الموت انساناً على حين غفلة وكانت خطاياه عرضيّةً تُنسب الى نقص الطبيعة وضعفها فبهذه العرَضيات وان كانت تنجّس النفس فيمكن التطهّر منها بواسطة الصلوات والصدقات وتقديم القرابين وسائر الاعمال الخيريّة المصروفة لاجلها . وكلّما تكرّرت هذه الاعمال تدرّجت النفس في التطهير وانتقلت من الاوجاع الى الصحة بمقتضى استحقاقها وتخلّصت من الترسيح (هي لفظة عامية يراد بها السجن) وعليهِ فقد رسمت الكنيسة وحتمت باستمرار ذكر الاموات على الهياكل بالصلوات وتقديم القرابين»

وبعد كلام مسهب ذكر الكتاب المشار اليهِ في الفصل المذكور مشبّهاً الهالكين برجُل الانجيل الذي دخل بيت العرس وليس عليهِ لباس العرس فطُرِح في الظلمة خارجاً وقال : انهذا الرجل هو صورة النفس الهالكة التي لا تنتفع من الاعمال الخيرية . ثم اردف كلامهُ وقال : اما الذي يدخل بيت العرس وعليهِ الثياب المشوبة بالاوساخ غير اللائقة بالعرس فان مثل هذا الرجل هو صورة النفس الحاملة نقائصها فيتحتّم عليها غسلها بزوفى التطهير حتى تعود نقيةً واهلاً للجلوس بقرب الختن السماوي

٣ شواهد الكتب المقدّسة على حقيقة المطهر

ثمّ نثبت لكم هذه الحقيقة من الكتاب المقدّس فنقول : ان السيد المسيح بقولهِ في انجيل متى (١٢ : ١٠) : «كل من يقول كلمةً في ابن الانسان يُغفر لهُ ومن يجدف

على روح القدس لا يغفر لـهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي» . اراد ان يوضح جلياً ان لبعض الخطايا مغفرةً في العالم الآتي. والحال ان لا مغفرة للذين في جهنم. فاذن يجب القول ان المغفرة هي للذين في سجن المطهر في الاخرى. وشرح هذه الايات بهذا المعنى القديسان اوغسطينوس وغريغوريوس. ويؤيد لنا ذلك بأجلى بيان كلام القديس اوغسطينوس في تفنيده زعم يوليانوس القائل بان: «لا غفران للخطيئة من بعد الموت» فقال اوغسطينوس: فان لم يكن غفران الخطيئة من بعد الموت فماذا حمل السيد المسيح الى أن يقول: والمجدف على روح القدس لا تُغفر خطيئتهُ لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر».

وقال القديس بولس في رسالتهِ الاولى الى قورنتس (٣: ١١—١٥): «انه لا يقدر احدٌ ان يضع اساساً آخر سوى هذا الموضوع الذي هو يسوع المسيح. وان بنى احد على هذا الاساس ذهباً او فضّة او حجارة كريمة او خشباً او حشيشاً او قشّاً فسيُعلَن عملُ كل واحدٍ. لان يوم الرب سيظهرهُ لانه بالنار سيُعلَن عملُ كل انسان كيف هو فالنار تمتحنهُ» . ان مراد القديس بولس بهذا الكلام ان اعمال النفس المنتقلة سوف تتنقّى بالنار وبعد تطهيرها تفوز بسعادتها والحال ان هذه النار لا تصدق على نار جهنّم فاذن هي نار المطهر

وجاء في سفر المقابيين الثاني (١٢: ٤٣—٤٦) ما يؤيد هذه الحقيقة باجلى بيان اذ قيل: «انهُ جمعَ الصدقة وارسل الى اورشليم الفَي درهم من الفضّة ليقدّم عن خطايا الموتى ذبيحة لانه مقدّسٌ وصالح الفكر ان نصلي على الموتى لكي ينجوا من الخطايا» . فينتج من هذا الكلام الالهي ان للموتى غفراناً في العالم الآخر يفوزون به بواسطة اسعافات الصدقة والصلوات والاعمال الخيرية المصروفة لاجلهم وهذا كان اعتقاد المقابيين قاطبةً وبني اسرائيل ايضاً لان يهوذا المقابي كان من نسل الكهنة وكان يعمل بموجب سنّة سلفائهِ الاحبار

ويؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ما فعله اهل يابيش جلعاد اذ صاموا سبعة ايام لاجل الملك شاول وبنيهِ الذين قُتلوا في حرب الفلسطينيين (سفر الملوك الاول ٣١: ١٣) . وما عمله داود اذ صام وناح باكياً هو ورجاله على يوناثان ابنه الذي قُتل في حرب الفلسطينيّين (٢ ملوك ١: ١٢) . وماكان في قلوب الرجال الابرار من الرغبة والشوق

لدفن امواتهم في ارض الميعاد حيث كانت تقدم لاجلهم القرابين والصلوات والصدقات . فهذه الاعمال الخيرية كلها تشير الى حاجة النفس الى الاسعاف من بعد الموت

ولنا في آيات اخرى من الكتاب الكريم ما يشير الى هذه الحقيقة قال الملك والنبي داود في ضراعته الى الله سبحانه (المزمور ٦ : ٢) : «يا رب لا بغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني» . فشرح القديس اوغسطينوس هذه الآية قائلاً : ان مراد النبي بهذا القول الموحى طلبتهُ النجاة من جهنم وعذاب المطهر فكأنه يقول : يا رب لا بغضبك توبخني في نار جهنم ولا برجزك تؤدبني في نار المطهر . وقال هذا النبي في محل آخر من زبوره (٦٥ : ١٠ — ١٢) : «لانك ابتليتنا يا الله واحميتنا كما تحمى الفضة . أدخلتنا في الفخ وجعلت الاحزان فوق ظهورنا ورفعت الناس على رؤوسنا . جزنا في الماء والنار واخرجتنا الى الراحة» . فيراد بالماء من كلام النبي الاشارة الى المعمودية وبالنار الدلالة على عذابات المطهر . وزيدوا على ذلك قول طوبيا لابنهِ ساعة مماته (٤ : ١٨) : «ضع خبزك وخمرك على مدفن البار . ولا تشرب منهُ مع الخطأة» كانه يقول : اصنع وليمة وادعُ الفقراء ليأكلوا ويشربوا تذكاراً للموتى الذين ينتقلون بنعمة الله من هذه الحياة . واردف قائلاً : «ليصلوا من اجل الموتى ويدعوا لهم بالرحمة»[1] . فان لم يوجد محل تتطهر فيهِ النفس فعلامَ نطق روح القدس بلسان طوبيا البار وامر بالصلاة من اجل الاموات وباستجلاب الرحمة عليهم من قبل ابي المراحم أفهل يعود كلامهُ جزافاً فحاشا ان تعتقد كنيستنا السريانية بحقائق تجحف بمعتقد الايمان الكاثوليكي . ونقرأ في نبوة اشعيا ما يزيد موضوعنا ايضاحاً اذ قال (٤ : ٤) : «ان الرب يغسل قذر بنات صهيون ويمحو الدماء من وسط اورشليم بروح العدل وروح التوقد» . فما هو يا ترى هذا الغسل سوى تطهير النفس من جرائرها «بنار المطهر» كما شرح ذلك القديس اوغسطينوس . وقال ملاخيا النبي في نبوته (٣ : ٤ — ٢) : «لانه مثل نار الصائغ ومثل عشب القصار يجلس ويصوغ منقياً الفضة وينقي بني لاوي ويسكبهم بالذهب والفضة» . لمن المحقق ان كلام النبي لا يصدق في هذه النبوة على الذين هم في الحيوة لانه لا يوجد تنقية في هذه الحيوة بين الاشرار والصالحين . وكذلك يقال الامر عن

١) لم نجد هذه الآية في سفر طوبيا الا في الترجمة السريانية (١٢ : ١٢)

الذين في جهنّم لانه لا تنقية هناك للهالكين وليس اهل الوطن السماوي في حاجة الى تطهير لانهم انقياء. فاذا يجب القول ان هذه التنقية والسبك كالذهب والفضة لا تشير الّا الى الانفس التي تتنقّى في النيران المطهرية من ادرانها وتخرج بعدئذٍ خالصةً كالذهب الابريز.

٣ شواهد للآباء القدّيسين في حقيقة المطهر

ثمَّ نثبتُ لكم حقيقة المطهر من اقوال الآباء والملمين. قال القديس غريغوريوس التاولوغوس: «ان النفس من بعد مغادرتها الجسد معمودية ثانية تسمّى معمودية النار شديدة التطهير تأكل نارها المادّةَ كما تأكل العشب». فمن لا يسلّم منكم بانَّ مراد القديس بهذه الالفاظ هو عن حقيقة المطهر لانه لا يمكننا حملها على نيران جهنّم حيث تمتلئ النفس ظلاماً ولا سبيل لها للخلاص منها

وبهذا المعنى قد تكلّم التاولوغوس موسى الحجري مطران الموصل في كتابهِ المسمّى «تفسير اسرار البيعة السبعة» اذ قال في سياق كلامهِ في مقالة المعمودية: المعموديات ثمانية فاراد بهذه المعموديات اسرار البيعة السبعة مضيفاً اليها معمودية النار التي تطهّر النفس في المطهر

وقد كرّر هذا القول عن المعموديّات الثماني غريغوريوس العبري في الفصل الثالث من كتاب منارة الاقداس. وذكر هذا المؤلف نفسه معموديّة النار في كتابهِ المسمّى اتيقون في الفصل الثامن والباب الثالث عن المعمودية قائلًا: «كما ان اسرار البيعة السبعة المعبّر عنها بمعموديات تنقّي النفس من اوزارها فيلزمنا القول كذلك ان معمودية النار تطهّرها ايضاً من اوساخها» . والحال ان معمودية كهذه لا يمكن وجودها في جهنّم النار كما سبق القول فاذن مراد هذا الملم بمعمودية النار الاشارة الى المطهر

وقال القديس ديونوسيوس تلميذ القديس بولس الرسول في كتابه الجزء الثالث (ص٧): «فليصنع الكاهن الموقر صلوةً مقدسة على الميت وليتوسل الى الله الحنون الرؤوف حتى يترك لـهُ جميع خطاياه الصادرة منه بسبب الضعف البشري ويقيمهُ ويوقفه بالنور في مكان الاحياء» . وقال القديس اثناسيوس سائلًا هكذا: «هل

تحسّ انفس الموتى بالفائدة التي تحصل لها من صلوات المؤمنين الاحبـار » فيجيب : « اي نعم تشعر بذلك من كلّ الوجوه» . والقديس اقليميس تلميذ القديس بطرس الرسول قد ألّف صلوةً تتلى لاجل الموتى في كتابهِ المعروف بكتاب المراسيم القسم الثامن (ف ٤٧) . وكذلك القديس باسيليوس المعظم الّف صلوةً لاجل الموتى ورسمها في نافورته . وقال القديس غريغوريوس النزينزي في اواخر الميمر الذي كان الّفهُ لاجل احد اصحابه المتوفى بالرب : « لنصلي ونبتهل للرب الاله من اجل انفسنا وانفس الذين انتقلوا من هذه الحيوة ووصلوا الى المنزل»

وقال القديس افرام السرياني في ميمره الثالث مؤيّدًا ما نحن بصـددهِ : « ألا تخطر ببالك تلك النار التي سنمرّ جميعنا فيها . اي نعم اننا اذا ما جزنا في تلـك النار سنصبح انقياء بلا معاب ونعرف حينئذٍ ذواتنا مَن نحن لان ذلك اليوم سيُعلن عمل كلّ احدٍ كما جاء مكتوباً : انه بالنار يُختبَر» . وقال ايضاً هذا القـديس في وصيتهِ الاخيرة : « اذكروني يا اخوتي دائمًا بصلواتكم لاني قضيتُ حياتي بالباطل وبفعـل الاثم »

وشرح القديس غريغوريوس كلام الرسول الى اهل قورنتس الذي مرّ ذكره وهو : ان بنى احد على هذا الاساس الخ . فقال : « ان كلام الرسول بهذه الآية لا يصـدق الّا على محلّ المطهر » واستشهد ما اورده الاب نيكُن صـاحب كتاب الحاوي في المقالة الثانية والخمسين تأييدًا لزعمهِ . فقال صاحب الكتاب المذكور : « سأل ذات مرةٍ بطرسُ معلمَهُ غريغوريوس قائلًا : ألتمسك ان تعرّفني هل يوجد وراء هذه الحيوة نار منطفئة ؟ وان كان لذلك صحّة عرّفني بها . فاجابه القـديس غريغوريوس : اعلم يا بطرس ان الانسان بالحالة التي بها يبرح هذا العالم فيها نفسها يقوم يوم الدينونة . وفضلًا عن ذلك يجب ان نؤمن بوجود نار منطفئة قبل الدينونة وهذه النار تشعلهـا الخطايا الخفيفة نظير كلمة بطالة او ضحك كثيرٍ او قلة احتفال الانسان باعمالهِ او اهمالـه العناية بالبحث عن نقائص اهلهِ او خدمهِ . فمثل هذه الخطايا وان كانت بذاتها خفيفةً فتوجد ثقيلةً بعد الموت نظرًا لقصاصها والوفاء عنها . ما لم يكفّر عنها الانسان وهو في هذه الدنيا فحينئذٍ يؤنّس جيّدًا حسب قول الرسول : ومَن بنى على هـذا الاساس ذهباً او فضة او حجارة كريمة الخ

وسُئل القديس غريغوريوس ذات مرة: اي خطايا تُغفر للانسان الخارج من هذا العالم بالموت بواسطة الصلوات والصدقات والقداسات؟ فاجاب مضمّناً كلام القديس ديونوسيوس الكبير: ان كانت خطايا الميت خفيفةً وعرضيّةً وجدت نفسه نفعاً عظيماً عما يصرف لاجلها من الاعمال المبرورة. وان كانت باهظةً ثقيلة فقد أُغلقت ابواب الاسعاف بوجهه. ثم اضاف القديس قائلاً: فالواجب علينا اذن ان نسعى جهدنا ونهتمّ بنفوسنا ما دمنا احياء. ولا نعتمد على ما يُعمل من بعد وفاتنا من قداسات وصدقات الخ. وروى اوسابيوس المؤرخ في سياق كلامه عن حياة الملك قسطنطين: ان هذا الملك طلب ان يُدفن في الهيكل المشهور لكي يشترك في الصلوات التي تُتلى هنالك.

والقديس ابيفانيوس في كتابه الذي ألّفه ضدّ البدع والهرطقات قد فصّل الصلوات التي يجب تلاوتها لاجل انفس الموتى. وقد حرم هذا القديس آريوس واعتبره هرطوقياً لكونه انكر الصلوات وجحدها. والقديس باسيليوس الكبير قد ايّد في مواضع شتى من تآليفه حقيقة وجود النيران المطهّرة بعد هذه الحياة لاسيما في شرحه كلام اشعيا النبي القائل: ان الربّ يغسل دنس بنات صهيون ويمحو الدماء من اورشليم بروح الحكم وبروح الاحتراق. فقال ان روح الاحتراق سيكون بنار الاختبار المطهّرة. والقديس غريغوريوس نيصص عنّف الذين ينوحون على امواتهم في احد ميامره عن الاموات. ومثله عمل القديس غريغوريوس التاولوغوس في احدى خطبه لعيد الننطقسطي اذ قرّع الذين يتشبثون بالبكاء على الميت ويعرضون عن اسعافه باعمالٍ مبرورة. وقال المعلم تاودوريطس الشهير مؤيد حقيقة المطهر في شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى قورنتس هكذا: نؤمن ان هذه النار التي تنقّي الانفس وتطهرها كما يطهّر الذهب بالكور هي النار المنطفئة

وقال القديس يوحنا فم الذهب في عظته الحادية والاربعين لدى شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل قورنتس هكذا: لا نساعدنّ الميت بالدموع بل بالطلبات والتوسلات واعطاء الصدقات. ثم اردف كلامه قائلاً: لنسعَ جهدنا في اسعاف الموتى ولنقدم الطلبات لاجلهم. وقال ايضاً في عظته التاسعة والستين: لم يسنّ الرسل باطلاً وعن غير جدوى هذه الامور ليكون تذكار الاموات في تقدمة الاسرار المرغوبة لانهم احاطوا علماً بالمنفعة الحاصلة لهم منها. والقديس ايسيدوروس البليوسي الدمياطي

تلميذ القديس يوحنا فم الذهب بعد ان ذكر كلام القديس غريغوريوس في رسالته الثالثة والخمسين من كتابهِ الاوَّل اعترض على نفسه قائـلًا : املَّ معترضاً يقول ان المسيح لم يبرهن لنـا في انجيلهِ عن وجود مكان من بعـد الموت سوى محلّي السماء وجهنَّم · فيجيب ان المسيح لم يبرهن لنا في انجيلهِ عن كلِّ امرٍ بتوضيحٍ بل نراهُ تارةً يدلُّ على شيءٍ ظاهرٍ بتصريحٍ وطوراً على آخر بدلائل وتلويح · وقد دلَّنا على وجود مكان المطهر بقوله : كن موافقاً لخصمك مـا دمت معه في الطريق · لئلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم يدفعك الى المستخرج · وتُلقى في السجن فالحقَّ اقول لـك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك · والحال ان آية السيد المسيح في هذا الكلام لا تتناول الَّا الدلالة على محلّ المطهر لانهُ لا يمكننا حملُهـا على جهنَّم من حيث سبق الكلام بان لا خلاص للهالكين منها ·

فاذن ينتج من جميع ما اوردناه من اقوال الكتاب المقدس والملافنة والمعلمين القديسين وجوب الاعتقاد بمحلّ ثالث مـا عدا السماء وجهنم بهِ تتطهر الانفس من ادران نقائصها وتوفي ما عليها للعدل الالهي قبل ولوجها جنّة الابرار وهذا المحل ندعوه مطهراً · ثم يجب علينا الاعتقاد بان الانفس المطهرية تستفيد من الصلوات والحسنات والقداسات المخصَّصة لاجلهـا كما اتَّضح لكم ذلك من الاقوال السالفة

٤ اعتراضات الخصوم

الَّا اننا نرى كثيرين من الهراطقة الذين يعترضون علينا بمثل الاعتراضات الآتية ونحن تعميماً للافادة رأينا من المناسب ان ندرجها في ذيل هذه الرسالة مع تفنيداتها باباً باباً فنقول : ❊ اعتراض اوَّل ❊ يعترض البعض قائلين : ان نيران المطهر ماديّة والجوهر المادي لا يؤثر بالجوهر البسيط اي النفس فاذن النيران المطهرية لا تعذّب النفس

❊ والجواب ان يقال ❊ ان الجوهر المادّي لا يؤثر بالبسيط من حيث طبعهِ فسلَّم امَّا بقدرة الله فمنكر · هذا وان العلماء اللاهوتيّين وآباء الكنيسة قد ذهبوا اجمع بان النيران المادية في المطهر لها فاعلية لتعذيب النفس بقوتها الطبيعية وذلـك بقدرة الله تعالى · وليس في ذلك من امرٍ غريب لاننا اذا تصفحنا الكتاب المقدس رأينا الله سبحانه في اوقات مختلفة قد اخترق نواميس الطبيعة مستخدماً اياها لتنفيذ مقاصده الالهية · فمن جملتها إبطاله قوَّة النار في اتون بابل اذ قصد حفظ الاطفال داخلهـا بلا

احتراق. ومنها قيامة المسيح من القبر حال كونه مختوماً بحجر كبير ودخوله على الرسل والابواب مغلقة الخ. فما لي اذكر عجائب الله لكم ولنا في الامور المختلفة نفسها امثلة تراها تفعل خلاف طبعها الوضعي. فمن ذلك الحديد ان من ذات هذا الجوهر الركوز في الاسفل ومع ذلك اذا ما علاه حجر المغناطيس اجتذبه الى العلو. فاذا وُجد في المخلوقات الطبيعيَّة خواصّ غريبة فلا عجب اذن لو احترقت النفس بنيران المطهر المادّيّة بقدرة الله.

﴿اعتراض ثانٍ﴾ ربّ معترض يقول: ان القاضي يُعدّ ظالماً اذا قبض على مجرمين بذنبٍ ما فعاقب احدهما وترك الآخر دون عقاب. والحال ان الله القاضي العادل يعاقب النفس بنار المطهر دون الجسد مع كونهما مشتركَين بالخطية فاذن لا صحّة لتطهير النفس

﴿الجواب ان يقال﴾ نميز الكبرى: الحاكم يُعدّ ظالماً اذا ترك احد المشتركين بالذنب دون عقاب وكانَ كلاهما من طبيعة جوهر واحد مسلّم. اما خلاف ذلك فمنكر. والحال ان جوهر النفس وطبيعتها هي خلاف جوهر الجسد وطبعه فليس اذن اثر للجَور. وننكر الصغرى ايضاً اي القول بان النفس والجسد مشتركان بفعل الذنب على حدّ سواء لانه من الواضح المعلوم ان النفس هي العلّة الفعَّالة لكلّ عمل يأتيه الجسد بواسطة قواها الارادية ولها ملءُ السلطان عليه. وهذا مثبوت بالعمل اذ كلّ انسان يشعر بآلام الغضب والحدَّة والميل الفاسد ويحسّ بارتياح الجسد الى انجازها الّا انهُ يشعر من جهة اخرى ان نفسه بقوّة ارادتها الحرّة تردعُ ذلك الارتياح حاكمةً عليه بحفظ شريعة الله فينتج من ثمّ ان الجسد ما هو الّا آلة لانجاز افعال الارادة التي هي احدى قوى النفس. ولزيادة الايضاح نقول على سبيل المثل: لو امتطى فارس صهوة جواده وجدَ في مواقعة عدوّه فادركه وانتصر عليه فلمن يُنسب هذا الانتصار؟ أليس للفارس؟ ونقول الامر بالعكس اعني لو خُذل وذُلّ واستحقّ غضب مولاه السلطان فمن يقع تحت طائلة اللوم ويؤاخذ بهذا الذلّ والخذلان أليس الفارس ايضاً لكونه هو العلّة الفعالة. فعلى هذا النسق يجب القول عن النفس فانها تُجزى بحسب اعمالها

١) قد فات غبطة المؤلف ان يستشهد بآية الانجيل الطاهر (متى ٢٥: ٤١) وفيها يقول: «انّ النار الابديَّة معدّة لابليس وملائكته» ومعلوم انّ ابليس وملائكته كلهم ارواح بلا اجسام. فان كانت النار تعذّبهم فبديهي ايضاً انّها تستطيع ان تعذّب الانفس المطهرية

ان خيرًا وان شرًا وتنال ذلك على اثر مغادرتها الجسد . فلا يُعد اذن الله جل جلالهُ مخترقاً شريعة العدل لو عاقب النفس دون الجسد حتى يوم الدينونة الاخيرة بما أنها علة للشر

﴿اعتراض ثالث﴾ لقد اثبتم وجود المطهر من آية متى الانجيلي (ص ٥ ع٥٢) في قولهِ : «كن موافقاً لخصمك ما دمت معه في الطريق لئـلّا يسلمك الخصم الى الحاكم ويسلمك الحاكم الى المستخرج وتُلقى في السجن الحقَّ اقول لـك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك» . والحال ان هذه الالفاظ لا تدلّ على المطهر لان لفظة حتى في هذه الآية تعليلية تدلّ على عدم النهاية اي على عذاب دائم . ويثبت ذلك قول الانجيلي عن يوسف ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر اعني ولم يعرفها حتى ولا بعد ولادتها . وقول الكتاب المقدَّس عن غراب نوح : ولم يرجع اليـهِ حتى يبست الارض والحال انهُ لم يرجع اليهِ ابدًا . فاذًا المراد بقول الانجيلي : لا تخرج من هناك ... حتى توفي الخ الدلالة على ابدية ذلك السجن اعني جهنَّم وعبثاً تبرهنون بتلـك الآية عن المطهر . ثانياً ان لفظة فلس في كلام الانجيلي تشير الى آلام السيـد المسيح كما شرح ذلك ديونوسيوس بن الصليبي مطران آمد في كتاب تفسير الانجيل ومثلـه المفريان شمعون الطوراني فاذن عبثاً تريدون بالفلس التعبير عن النقـائص والهفوات وبقايا الخطايا التي تتطهر منها النفس في المطهر حسب ادعائكم

﴿والجواب ان يقال﴾ عن لفظة حتى : ان «حتى» لها معانٍ شتَّى فاذا جاءت بمعنى واو عطفية دخلَ ما بعدهـا بحكم ما قبلها ودلَّت اذ ذاك على عدم النهـاية كما برهنتم بآية الانجيلي عن مريم الدائمة البكارة وبغراب نوح الـذي لم يرجع حتى ولا بعد يبوسة الارض . ثم ان «حتى» تأتي بمعنى انتهاء الغاية وحينئذٍ لا يصلح ما بعدها ان يدخل بما قبلها كقول الرب هنا فليست «حتى» بمعنى التعليلية او العطفية كما اعترض المعترض وهذا امر واضح ان النفس لا تخرج من حبس المطهر حتى توفي او الى ان توفي ما عليها للعدل الالهي . ونجيب على (الثاني) ناكرين تفسير المعترض لكلام الانجيلي بان الفلس يراد بهِ الرمز عن آلام المسيح لان نصوص الكتاب المقدس يقتضي ان تُفسَّر حسب تواقيعها حرفياً بشرط الَّا تخالف الاعتقاد او تضاد احدى قضـايا الايمان . ثانياً يقتضي ان يكون مناسبة بين الالفاظ المستعارة والموضوع المقول عنه . والحال ان معنى الفلس

يراد به نقائص الانسان وهفواته ولا يوجد تنـافر في هذا الشرح من حيث توقيع آية الانجيلي بل بعكس ذلك توجد مناسبة كبرى بين المستعار والموضوع فالاعتراض اذن باطل . وننكر ايضاً نسبة المعترض لابن الصليبي والمفريان شمعون الطوراني شرح الفلس بمعنى آلام المسيح لان المذكورين قد شرحا هذه اللفظة بمعنى النقائص والصغائر. فهل يا ترى من الممكن ان المشار اليهما يعتبران دم المسيح من جملة النقائص والصغائر على فرض صحة ادعاء المعترض . فضلاً عن انهُ لا يوجد وجه مطلقاً للمشابهة بين الفلس ودم المسيح فاذاً عبثاً ادَّعى المعترض بما ادَّعى

﴿اعتراض رابع﴾ وربَّ معترضٍ يقول ايضاً ان لفظـة شيول (ܫܝܘܠ) معناها الجحيم فقط ويؤيد ذلك قول يعقوب ابي الاسباط « ولا تنحدر شيخوختي الى الجحيم » فاذاً عبثاً تريدون بها محلَّ المطهر

﴿والجواب ان يقال﴾ ان لفظة شيول (ܫܝܘܠ) لغـةً تدلُّ بوجه عامٍ على عمقٍ في الارض وبوجهٍ خاصٍ تـدل على خمسة مواضع في قلب الارض ولا ينكر ذلك من كان لهُ المام بمعرفة اللغة السريانية . (اولاً) تدل على جهنَّم الهالكين يثبت ذلك بالآية الواردة في الانجيل الطاهر عن موت الغنيّ الهالـك اذ قال عنهُ انهُ «قُبر بجهنم» ففي السريانيَّـة «قُبر بشيول» (ܐܬܩܒܪ ܒܫܝܘܠ) . (ثانياً) على حبس الاطفال الذين يموتون بدون عماد وهو معروف . (ثالثاً) على المحل الذي ندعوه مطهراً يثبتهُ قول القديس افرام: « مبارك مطر الحياة الذي نزل ورشَّ الانبعاث على المضجعين في شيول» اي المطهر . (رابعاً) على اليمبوس حيث كان الآباء والانبياء محبوسين قبل مجيء المسيح . (خامساً) تأتي بمعنى القبر كما ورد في البيت الـذي ترتلهُ كنيستنا في مساء السبت وهذا تعريبهُ : « كما انَّ المطر لا يترك زرعاً في الارض الّا وينتبه كذلك المسيح لا يترك ميتاً في القبر الّا ويبعثهُ »

فبعد ان اوضحنا لكم بالكفاية عقيدة المطهر الذي فيه تتطهر النفس من خطاياها العرضية وقصاصاتها الزمنية وفنَّدنا جميع الاعتراضات التي تَردُ علينا من الهراطقة نناشدكم الله من ثم يا ايها الابناء المحبوبون منا بيسوع المسيح بان تتمسكوا بهذه العقيدة وتؤمنوا بها لان الاقرار بها من باب ضرورة الواسطة للخلاص ونحثُّ غيرتكم لأن تطالعوا بامعانٍ رسالتنا هـذه وتتأملوا بجميع ما اوردناه بروح التواضع لا بروح

المجرفة بروح الدعة لا بروح الانتقام حتى اذا ما عملتم بشورتنا الابوية تستجلبون عليكم البركات السماوية وتنالون رضانا . وعليهِ اننا في الختام نهديكم كباراً وصغاراً بركتنا الرسولية . ولتشملكم ايضاً بركة الربّ المتعال وتحلّ على جميعكم باسم الآب والابن والروح القدس آمين

ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

نظر تاريخي مذهبيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ حملة جلالة ملك نجد عبد العزيز بن السعود على الحجاز ودخوله الطائف ثم مكَّة لمَّا ألفت نظر العام الى الوهَّابيين وتعاليمهم التي توافق في امور كثيرة آراء القاضي احمد بن تيميَّة فرغب الينا بعض القرَّاء ان نكتب لهم فصلاً في هذا الامام الشهير وانتماء الوهَّابيين اليهِ . واذ قد سبق لنا مقال واسع في الوهابيين واصلهم وتاريخهم ومذهبهم (في المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٣-٣٥ و ١٠٧-١١٧ و ١٧٨ – ١٨٢) نحيل القرَّاء الى مراجعتهِ ونكتفي هنا بذكر ابي تيميَّة واخبارهِ وآرائهِ الخاصَّة

جاء في تاريخ ابن الوردي (٢ : ٢٨٤) في تاريخ سنة ٧٢٨ ما نصُّهُ بحرفهِ :

« وفيها في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة (ايلول ١٣٢٨ م) توفي شيخ الاسلام تقي الدين ابو العبَّاس احمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الاسلام مجد الدين ابن البركات عبد السلام بن عبد الله (ويروى ابن ابي عبد الله محمَّد) بن ابي القاسم ابن تيميَّة الحرَّاني الحنبليّ . معتقلاً بقلعة دمشق وغُسّل وكُفّن وأُخرج وصلَّى عليهِ اوَّلاً بالقلعة الشيخ محمَّد بن تمَّام ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأُخرج من باب الفرج واشتدَّ الزحام في سوق الخيل وتقدَّم عليهِ في الصلاة هناك اخوهُ والقى الناس عليهِ مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك وتراصَّ الناس تحت نعشهِ وحُزرت النساء بخمسة عشر الفاً واما الرجال فقيل كانوا مائتي الف وكثر البكاء عليهِ وخُتمت لهُ عدَّة ختم وتردَّد الناس الى زيارة قبرهِ اياماً ورؤيت لهُ منامات صالحة ورثاهُ جماعة »

فيشعر هذا الكلام بخطب جسيم وينعي بوفاة رجل عظيم فمن هو يا ترى هذا

الرجل الذي تهتزّ لموتـهِ مدينة دمشق وهو مع ذلك يموت معتقلاً كمجرم في قلعتها. فهذا هو السرّ الذي نحاول كشفهُ في الاسطر التالية مستندين في قولنـا الى رواةٍ عاشوا في زمانهِ كابن شاكر في فوات الوفيات وشمس الدين الـذهبيّ المؤرخ الشهير وابن الوردي وغيرهم

١ مولد ابن التيميَّة وتهذيبهُ

ولد ابن تيميَّة بحرَّان من مدن الجزيرة بين الرها والرقَّـة في ١٠ ربيع الاوَّل سنة ٦٦١ (٢٣ ك ٢ ١٢٦٣ م) من أُسرة فاضلة عُرف بعض افرادها بالعلوم الفقهيَّة منهم ابوهُ عبد الحليم وجدهُ محمَّد ابو عبد الله الـذي ترجم بهِ ابن خلّكان. واسم تيميَّة نسبة الى تيماء المدينة الواقعة على طريق الحجّ وجد فيها جدَّهُ فتاةً شبَّه بها ابنةً وُلدت لهُ في غيبتهِ فدعاها تيميَّةَ وقيل بل كانت امّهُ تُدعى تيميَّة

انتقل احمد بن تيميَّة وهو صغير مع والدهِ واهلهِ الى دمشق مهاجرين هرباً من التتار الذين زحفوا على وطنهِ. قـال ابن شاكرٍ (١:٢٥) : «ساروا بالليـل ومعهم الكتب على عجَلةٍ لعدم الدوابّ فكان العـدوّ يلحقهم ووقعت العجلة فابتهلوا الى الله تعالى واستغاثوا بهِ فنجوا وقدموا دمشق في اثناء سنة ٦٦٧»

سمع ابن تيميَّة من عدَّة شيوخ في الفيحاء يزيد عددهم على مائتي شيخ فحفظ القرآن وتعلَّم الخطّ والحساب واقبل على درس العربيَّة واخذ يتأمل كتاب سيبويهِ حتى فهمهُ وبرع في النحو ثمَّ اقبل على تفسير القرآن حتى سبق فيهِ وانكبَّ على الفقه وأحكم اصولهُ قـالوا : «ادرك من كلّ ذلك وهو ابن بضع عشرة سنـة فانبهر الفضلاء من فرط ذكائهِ وسَيَلان ذهنهِ وقوَّة حافظتهِ»

٢ علومهُ وتآليفهُ

لو رجعنا الى اقوال مترجمي ابن تيـميَّة لأخذنا العجب ممَّا رووهُ عن سعة علومهِ فيكاد كلامهم يذكّرنا بالنابغة الايطالي جان پيك ديلا ميراندول (J. Pic de la Mirandole) (١٤٦٣–١٤٩٤) الذي في الخامسة والعشرين من عمرهِ ادَّعى معرفة كلّ علوم زمانهِ (de omni re scibili) . فنعتَ العرب ابن تيـميَّة « بالامام الربَّاني

إمام الائمَّة. ومفتي الأُمَّة. وبحر العلوم سيّد الحفَّاظ. فارس المعاني والالفاظ. فريد العصر. قريع الدهر. شيخ الاسلام. قدوة الانام. علّامة الزمان. وترجمان القرآن. علَم الزهّاد. واوحد العباد. قامع المبتدعين. وآخر المجتهدين. صاحب التصانيف التي لم يُسبَق الى مثلها » (ابن شاكر). ومثلهُ قال بل زاد واطنب كثيرون من الشيوخ. قال كمال الدين ابن الزملكاني:

« كان ابن تيميَّة اذا سُئل عن فنّ من الفنون ظنّ الرائي والسامع انهُ لا يعرف مثلهُ. وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معهُ استفادوا من سائر مذاهبهم منهُ ما لم يكونوا عرفوهُ قبل ذلك. ولا يُعرَف انهُ ناظَرَ احدًا فانقطعَ معهُ ولا تكلَّم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الّا فاق فيهِ اهلهُ المنسوب اليهِ. وكانت لهُ اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين . . . ولهُ نظمٌ وسط »

قد بلغت تآليف ابن تيميَّة على ما روى معاصروهُ نحو خمسمائة تأليف في ستَّة الاف كرَّاس يكتب في اليوم والليلة نحوًا من اربعة كراريس مدارها على جميع المعارف الدينيَّة كتفسير القرآن والحديث والفقه ومسائل الشرع المتنوّعة والردود على المبتدعين. والبعض منها في عدَّة مجلَّدات. قال كمال الدين:

« لهُ من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضبط ولا اعلم احدًا من المتقدّمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنَّف نحو ما صنَّف ولا قريبًا من ذلك مع انَّ تصانيفهُ كان يكتبها من حفظهِ وكتب كثيرًا منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليهِ ويراجعهُ من الكتب »

على انَّ معظم هذه المؤلفات قد اخنتها ايدي الضياع فلم يبقَ لابن التيميَّة في زوايا المكاتب الشرقيَّة في الشرق والغرب الّا نحو خمسين كتاباً طُبع منها قريباً من ربعها ما يدلُّ على قلَّة اقبال العلماء على تآليفهِ بالنسبة الى رغبتهم في تآليف الصوفيين كالغزَّالي واصحابهِ

٣ زهد ابن تيميَّة واخلاقهُ

قال ابن الوردي: « نشأ ابن تيميَّة في تصوُّن وعفاف وتعبُّد واقتصاد في الملبس والمأكل . . . ولم يتزوَّج ولا تسرَّى ولا كان لهُ من المعلوم الّا شيء قليل وكان

اخوهُ يقوم بمصالحهِ وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالباً وما كانت الدنيا منهُ على بال »

وقال ابن الزملكاني : « انتهت الى ابن تيميّة الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والاناة والجلالة والمهابة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والامانة والعفّة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدّة الخوف منهُ ودوام المراقبة لهُ والتمسُّك بالأثر والدعاء الى الله تعالى وحسن الاخلاق ونفع الخَلْق والاحسان اليهم »

فترى من هذه النعوت ما كان لابن تيميّة من المنزلة في قلوب أنصاره . على أنهم مع هذا الاطراء لم يستطيعوا السكوت عمّا كان يشيب اخلاقهُ من النقص . قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٨) :

« وكان فيهِ (اي ابن التيمية) قلّة مداراة وعدم تؤدة غالباً ولم يكن من رجال الدول ولم يسلك معهم تلك النواميس واعان اعداءهُ على نفسهِ بدخولهِ في مسائل كبار لا يحتملها عقول ابناء زماننا . . . وارتفع وانخفض واستبدّ برأيهِ عسى ان يكون ذلك كفّارةً لهُ » . . .

وقال فيهِ الرحّالة ابن بطوطة (١ : ٢١٥—٢١٨) وكان عرفهُ في دمشق وحضر خطبتهُ في جامعها : « تقيّ الدين بن تيميّة كبير الشأن يتكلّم في الفنون الّا انّ في عقلهِ شيئاً » فيشعر قولهُ بخبَلٍ في عقلهِ وغلوّ في تصرُّفهِ

وفي ردودهِ على خصومهِ شيء من العجب والزهو . وممّا يروى لهُ قولهُ :

لو لم تكن لي في القلوب مهابةٌ ... لم يطعن الاعداء فيَّ ويقدحوا
كالليث لمّا هِيبَ حطّ لهُ الرُّبى ... وعوت لهيبتهِ الكلابُ النُّبَّحُ

٤ تعليم ابن تيميّة

انتصب ابن تيميّة للتعليم اوّلاً في دمشق وهو في سنّ الشباب قال الذهبيّ في تاريخهِ : « برع ابن تيميّة في العلم والتفسير وأفتى ودرّس ولهُ نحو العشرين » . وفي تاريخ ابن الوردي انهُ أفتى ولهُ اقلّ من تسع عشرة سنة (وقيل سبع عشرة سنة) وشرع في الجمع والتأليف ومات والدهُ ودرّس بعدهُ بوظائف ولهُ ٢١ سنة وبَعُد

صيتُهُ في العالم فطبّق ذكرهُ الآفاق واخذ في تفسير الكتاب العزيز ايام الجُمَع على كرسيّ من حفظهِ فكان يورد ما يقولهُ في المجلس دون توقّف ولا تلعثُم وكذلك الدرس كان يورده بتؤدة وصوت جهوري فصيح». وقال الشيخ علم الدين في معجم شيوخهِ: «كان ابن تيميّة يجلس في صبيحة كلّ جمعة على الناس يفسّر القرآن العظيم فانتفع كثيرون بمجلسهِ وبركة دعائهِ ... واناب الى الله خلقٌ كثير. فسّر كتاب الله مدّة سنين من صدرهِ ... بلغ تفسيرهُ اربعين مجلدًا . (قالوا) وكان اذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايرادهِ واعطائهِ كلّ قولٍ ما يستحقهُ من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضهِ في كلّ فنّ»

٥ مذهبهُ وآراؤهُ

كان ابن تيميّة على مذهب احمد بن حنبل (١٦٤—٢٤١ ﻫ = ٧٨٠—٨٥٥ م) احد المذاهب السُّنّيّة الاربعة المقبولة في الاسلام تبع في ذلك اباهُ وكان من كبار الحنابلة. والمذهبُ الحنبليّ اقلّ المذاهب شيوعاً واشدُّها استمساكاً بالتقليد وابعدُها من كلّ ابتداع وتجديد. فكان ابن تيميّة يتشبّث بآراء ابن حنبل وربّما غالى فيها واضاف اليها ما عرّضهُ لمعاداة اهل زمانهِ. قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٧) : «بقي ابن تيميّة عدّة سنين لا يُفتي بمذهب معيّن بل بما قام الدليل عليهِ عندهُ ولقد نَصَرَ السُّنّة المحضة والطريقة السِلَفيّة(١ واحتجّ لها ببراهين ومقدّمات وامور لم يُسبَق اليها واطلق عباراتٍ احجم عنها الاوّلون والآخرون وهابوا وجَسَرَ هو عليها»

وكان يقول بالتجسيم ويشرح ما ورد في القرآن من الالفاظ المَجازيّة كوجه الله وعينيهِ ويديهِ وجلوسهِ شرحاً حقيقيًا على خلاف ما هو شائع بين علماء المسلمين ويوافقهم بذلك النصارى في ما ورد منها في التوراة. اخبر ابن بطوطة في رحلتهِ قال (١ : ٢١٦—٢١٧) :

«كنتُ بدمشق يوم الجمعة فحضرتُ ابن تيميّة يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان

١) هي طريقة الامام الحافظ صدر الدين ابن سِلَفة الاصبهاني المتوفي سنة ٥٤٦ ﻫ (١١٥١ م) وكان من اعيان المشايخ شافعيّ المذهب

من جملة كلامهِ أنْ قال: «انَّ الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا» ونزل درجةً من درجات المنبر فعارضهُ نقيهٌ مالكي يُعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلّم بهِ. فقامت العامّة الى هذا الفقيه وضربوهُ بالايدي والنعال ضرباً كثيراً حتّى سقطت عمامتهُ وظهر على رأسهِ شاشيّةٌ حرير فانكروا عليهِ لباسها واحتملوهُ الى دار عزّ الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فامر بسجنهِ وعزّرهُ»

ومن آرائهِ الخاصّة انكارهُ لما يُعرف عند المسلمين بالاجماع والقياس لاستنباط الاحكام الفرعيَّة من الاصول بالادلَّة المنطقيَّة. واغربُ من ذلك انهُ صنَّف كتاباً في «الردّ على المنطق» فضلًا عن ردّهِ على الفلاسفة. ولعلَّهُ ناقضَ رأيهُ في ذلك بفعلهِ. وكان معادياً للصوفيين ولامامهم الغزالي ولأصحاب الطرائق وفند تعاليمهم ونسبها للشيطان وعلى مثالهِ جرى تلامذتهُ كابي الفرج ابن الجوزي في كتابهِ تلبيس ابليس وابن القيّم الجوزيّة

وكان ابن تيميَّة من المعادين لشفاعة الاولياء. وللسفر لزيارة قبر نبي الاسلام وقبور النبيين وينهى عن شدّ الرحال لذلك

ولهُ آراء أُخرى في امور شتى لاسيما في احكام الشرع لا حاجة الى ذكرها

٦ مِحَن ابن تيميَّة

انَّ الآراء التي ذهب اليها ابن تيميَّة قد سبَّبت لهُ من المِحَن ما يطول شرحهُ حتى قيل عنهُ انهُ «لم يَخلُ من فتنةٍ بعدَ فتنة ولم ينتقل طول عمرهِ من محنة الّا الى محنة». وكان اوَّل ما أثار عليهِ بعض الأئمَّة معاصريهِ انهُ بيَّن خطأً كثيرًا من اقوال المفسّرين واصحاب المذاهب. قال الذهبيّ :

«كان ابن تيميّة اذا ذُكر التفسير فهو حامل لوائهِ. وإن عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المُطلَق. وان حضر الحفّاظ نطَقَ وخرِسوا، واستزاد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا، وان سُمّي المتكلمون فهو فردُهم واليهِ مرجعهم. وان لاح ابن سينا يقدِّمُ الفلاسفة فلَّسهم وبَخسهم وهتك استارَهم وكشف عوارهم. فانَّ سيرتهُ وعلومهُ ومعارفهُ ومِحَنهُ وتنقّلاتهِ يُحتمَل ان توضع في مجلّدين»

ولعلَّ تفوّقهُ هذا على اقرانهِ كان سبباً لتحاملهم عليهِ. قال فتح الدين بن سيّد الناس :

دبَّ اليهِ من اهل بلادهِ الحسد، وأكبَّ اهل النظر منهم بما يُنتقَد عليهِ من امور المعتقد،

تحفَّظوا عليهِ في ذلك كلاماً، قد اوسعوهُ لثلبهِ ملاماً وفوَّقوا لتبديعهِ سهاماً، وزعموا انهُ خالف طرائقهم وفرَّق فريقهم فنازعهم ونازعوهُ وقاطع بعضهم وقاطعوهُ . ثمَّ نازعتهُ طائفة أُخرى ينتسبون من الفقراء (الصوفيين) الى طريقةٍ ويزعمون انَّهم على طريقٍ أرقَّ باطن منها واجلى حقيقةً فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مزاعم وبوائق ، فآضت على الطائفة الاولى من منازعيهِ، واستعانت بذوي الضغن عليهِ من مقاطعيهِ، فوصلوا الى الامراء امرهُ، واعمل كلٌّ منهم في كفرهِ فكرهُ، فرتَّبوا محاضر وسعوا بنقلهِ الى حضرة المملكة بالديار المصريَّة فنُقل وأُودع في السجن ساعة حضورهِ واعتُقِل وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوماً من عمَّار الزوايا والمدارس ، وربُّك يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون . . . فردَّ الله كيد كلٍّ في نحرهِ، ونجَّاهُ على يد من اصطفاهُ والله غالب على امرهِ »

وكانت اوَّل محنةٍ اصابتهُ في دمشق لسؤَال ورد اليهِ من اهل حماة سنة ٦٩٨ (١٢٩٩م) في الصفات الالهيَّة فأجاب مجيباً لها على ما سبق لنا القول فعُزل لذلك عن التدريس

وفي السنة ٧٠٥ عُقدت لهُ مجالس بحضرة الافرم نائب السلطنة في دمشق فناظر خصومهُ وافحمهم . الَّا انَّ قاضي الشافعيَّة سار بهِ الى الديار المصريَّة ليحاكمهُ عند الملك الناصر وعلماء البلاد فعُقدت لهُ مجالس حاكموهُ فيها على كلامهِ في الاتحاديَّة وطعنهِ بالمذاهب فحُبس سنة ٧٠٧ بحبس القضاة في جبّ القلعة مع اخويهِ سنةً ونصفاً . فكان يعلّم اهل الحبس ما يحتاجون اليهِ من امر الدين ثمَّ اخرجوهُ الى الاسكندرية وجعلوهُ في بُرج حُبس فيهِ ثمانية اشهر يدخل اليه من شاء . ثم توجَّه الى مصر واجتمع بالسلطان في مجلس حفل فيهِ القضاة واعيان الامراء فأكرم اكراماً عظيماً وشاورهُ الملك في قتل بعض اعدائهِ فامتنع الشيخ من ذلك وجعل في حلٍّ كلَّ من آذاهُ

ثمَّ سكن القاهرة وعاد الى نشر العلوم فجرت لهُ بعد مدَّة محنة أُخرى لسبب قضيَّة شيخٍ يُعرف بالبكري وغيرها فتوجَّه الى الشام صحبة الجيش قاصداً الى العراق فزَّ بابيت المقدس ثم رجع الى دمشق بعد غيبتهِ عنها سبع سنين فاستأنف التعليم وتصنيف الكتب وإفتاء الخَلق فأفتى في مسائل اوجبت السلطان ان يمنعهُ من الفتوى لكنهُ رجع اليها قائلاً : لا يسعني كتمان العلم . وبقي كذلك سنةً ثمَّ حبسوهُ في القلعة خمسة اشهر بنيِّف . ثمَّ اطلقوا سبيلهُ الى ان حدثت مسألة شدّ الرحال الى قبور الانبياء والصالحين فشنَّعوا عليهِ وجُعل بامر السلطان في القلعة فاقام فيها ومعهُ اخوهُ

يخدمه فاقبل على العبادة وصنّف تفسيرهُ للقرآن. وكتب في المسئلة التي حُبس لاجلها مجلّدات فظهر بعضُ ما كتبهُ فآل الامر الى ان مُنع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عندهُ من الكتب ولم يتركوا لهُ دواةً ولا قلماً ولا ورقة وبقي اشهرًا على ذلك يتعبَّد ويتهجَّد الى موتهِ بعد مرضٍ دام عشرين يوماً فأسف الخلق عليهِ واهتزَّت دمشق لحفلة جنازتهِ فحُمل الى مقبرة الصوفيَّة ودُفن هناك بجانب اخيهِ الامام شرف الدين. قال ابن شاكر في ترجمتهِ (ص ٤١–٤٢):

«حضر جنازتهُ من الرجال والنساء أكثر من مائتي الف وشرب جماعةٌ الماء الذي فضل من غسلهِ واقتسم جماعة بقيَّة السدر الذي غُسل به وقيل انَّ الطاقيَّة التي كانت على رأسهِ دُفع فيها نحو ٥٠٠ درهم وقيل انَّ الخيط الذي كان فيهِ الزئبق الذي كان في عنقهِ لاجل القمل دُفع فيهِ ١٥٠ درهماً (كذا!) وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير»

وقال في وصفهِ انهُ «كان ابيض شديد سواد الرأس واللحية قليل الشيب شعرهُ الى شحمة اذنهِ كأنَّ عينيهِ لسانان ناطقان رَبعة من الرجال»

٧ ابن تيميَّة والبدع والاديان

من راجع جدول مصنَّفات ابن تيميَّة يجدهُ لم يدع بدعةً او ديناً الَّا ناقضهُ وردَّ عليهِ ردًّا مطوَّلًا. وكان شديد التعصُّب يرى عمل السيف في كلّ من يخالف دينهُ. بل يتشدَّد على ما لا بأس فيهِ كتحريم السَّماع وتحريم الشبَّابة وتحريم لعب الشطرنج وتقديم بَسْط سجادة المصلّي قبل مجيئهِ. ومن تآليفهِ «كشف حال المشايخ الاحمديَّة واحوالهم الشيطانيَّة» وردود على القدريَّة والجبريَّة وعلى المعتزلة والاماميَّة والاشعريَّة. وممَّا نُشر لهُ فتواهُ في مقاتلة النصيريَّة والاسماعيليَّة والقرامطة. نشرها المستشرق غويار (St. Guyard) في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (سنة ١٨٧١ ج ١٨ ص ١٥٨–١٩٨) يبيح فيها اموالهم ودماءهم. ولا شكَّ انهم هم الكسروانيُّون الذين ورد ذكرهم في تواريخ المسلمين كالنويري والكتبي. وكان ابن تيميَّة صنَّف فيهم كتابهُ «الردّ على الكسروانيين» وقد ظنَّ بعض كتبة الموارنة ان المقصود هنا بالكسروانيين ابناء طائفتهم وهذا غلط فانَّ الموارنة لم يكونوا في ذلك العهد استوطنوا كسروان. وقد روى ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ ﻫ (١٣٠٥م) وصالح بن يحيى في تاريخ

بيروت تفاصيل حملة المسلمين على كسروان (ص ٤٨-٥١) واهله النصيريَّة الظنّين اي الاسماعيليَّة والرافضة. فقتلوا ونهبوا واحرقوا وسلبوا وسبوا واسترقُّوا

وقد اظهر ابن تيميَّة تحمُّسهُ الديني في مناهضة المغول فانهُ كتب ردًّا عليهم ولمَّا قدم التتار سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) الى البلاد الشاميَّة اجتمع باركان الدولة في دمشق ومصر واستصرخ بهم وحضَّهم على الجهاد ولم يكفَّ عن التحريض والتنشيط الى أن تمَّ الظفر لسلطان مصر في وقعة شَقْحَب قرب دمشق سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣م)

وقد تحكَّك ابن تيميَّة بالنصرانيَّة. فانَّ بين مصنَّفاتهِ كتباً تدلُّ على تعرُّضهِ للدين النصراني منها الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح في اربعة مجلَّدات ردًّا على بعض رسائل بولس الراهب اسقف صيداء التي نشرناها سابقاً. ومنها كتاب التخجيل لاهل الانجيل. ومنها الرسالة القبرسيَّة وجَّهها الى ملك قبرس ليقنعهُ ببطلان النصرانيَّة. وقد اطَّلعنا على بعض هذه الردود فوجدناها على خلاف ما كنَّا ننتظر من علم ابن تيميَّة فانهُ كثيرًا ما يُسيء فهم العقائد النصرانيَّة وينسب اليها ما هي براء منهُ او هي آراء لبعض الخوارج الذين حرمتهم الكنيسة بجامعها. وهو يصف الاحبار والقسّيسين والرهبان بل عموم النصارى بالمراءاة والخداع ويزعم انهم ابدلوا دين المسيح وهو لم يعرف من هذا الدين الَّا ما هو دون القليل. ويزعم انَّ هرقل الملك واحبار نجران ومعظم النصارى اقرُّوا بنبوَّة محمَّد فلم يُذعنوا الى الحقّ عنادًا او لغايات بشريَّة. ومن عجيب ما يقولهُ في علماء النصرانيَّة (ص ١٧ من الرسالة القبرسيَّة) « انَّ اكثر علمائهم زنادقة » واعجب من ذلك انهُ يقرّف هناك النصارى بعدم اقرارهم بانَّ في الجنَّة « اكلًا وشُربًا ولباساً ونكاحاً!! » ثمَّ يدعو الى جهادهم. ولو اردنا تخطئة مزاعم ابن تيميَّة في النصرانيَّة لاحتجنا لا لاربعة مجلَّدات بل الى مكاتب واسعة هي والحمد لله مهيَّأة حافلة لمن يريد الاطّلاع على صحَّة دين المسيح كما تسلَّمتهُ الكنيسة منهُ تعالى بلا تغيير ولا تبديل. وليس بحث او مشكل ايًّا كان الَّا وقد اتَّسع فيهِ علماء الكنيسة في سائر القرون وفي سائر البلدان وفي سائر اللغات فكيف امكن ابن تيميَّة ان يردَّ عليهم وهو يجهل مذهبهم فضلًا عن كتاباتهم والسنتهم وتواريخهم المتواصلة بتقليد متسلسل الى اوَّل النصرانيَّة فطاش اذن سهمهُ وخاب امله

٨ ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

انَّ بين تعاليم ابن تيميَّة والوهَّابيين علائق واضحة . فقد سبق لنا في مقالاتنا عن الوهَّابيين انَّ زعيمهم عبد الوهَّاب كان على مذهب احمد بن حنبل وكذلك ابن تيميَّة كان حنبليًّا بل غالى في تعاليم الحنابلة كما يفعل حاضرًا ابن سعود وحزبهُ وهم من غُلاة الحنابلة يزعمون مثل ابن تيميَّة انَّ الاسلام قد حاد عن سذاجتهِ الاصليَّة التي كان عليها ولذلك يبغضون المتصوّفين والزهَّاد واصحاب الطرائق المعروفين بالفقراء اوالدراويش . وتعصُّبهم لمذهبهم غاية في الشدَّة والفظاظة كما ذكرنا عنهم في تاريخهم لمَّا دخلوا في اوائل القرن التاسع عشر مكَّة والمدينة فعملوا فيهما ايدي النهب وجرَّدوهما من الهدايا والنذور ومنعوا زيارة قبر نبيّهم وخلفائهِ الراشدين ونهوا عن شرب القهوة والتبغ فضلًا عن الخمور وعن ملابس الحرير . وقد سعى عبد العزيز بن السعود في تجنيد اهل دولتهِ بان ألَّفهم على هيئة جيش ذي فرقٍ مختلفة تُدعى بالاخوان يستصرخهم ويبعثهم لحروبهِ فيلبُّون دعوتهُ عن طيبة خاطر فعلى هذا المنوال قد وسَّع تخوم دولتـهِ حتى صارت الآن تشمل معظم جزيرة العرب من نجد والبحرين والحجاز . وكان الانكليز يؤلفون قلبهُ بما يدفعون لهُ من المال ليكفَّ عن محاربة الملك حسين شريف مكَّة فقطعوا عنهُ ذلك الراتب منذ دخل الحجاز وفتح الطائف ومكَّة . والله اعلم بما سيأول اليهِ امر الوهَّابيين اذا مـا حاولت بريطانية العظمى محـاربتهم ولاسيَّما ان قسمًا كبيرًا من المسلمين مستاؤون من اعمالهم ومن شدَّة تعصُّبهم . وقد شاع آخرًا ان مصطفى كمال والاتراك يتقرَّبون من الوهَّابيين لبغض كلا الفريقين للاجانب فيمدّونهم بالاسلحة والذخائر الحربيَّة ليتقرَّبوا من بلاد الانتداب فلسطين وسوريَّة

قطرة على غصن

من نظم جناب المحامي نجيب خلف

في رثاء الفتى الذكيّ تلميذ كليّتنا

ادمون بن انطون بك الخوري رئيس محكمة كسروان

اسفي على الغصن النضيرِ اسفي على الظبي الغريرِ
قد كنتَ ترْعى في العيون م وفي القلوب وفي الضميرِ
وبك المغـاني جَذلـةٌ تهتزُّ من فرط السرورِ
واليوم خَطبُـك هـدَّنا هدًّا بقـاصمة الظهورِ
فالنـاس بين تلهبٍ يُذكيهِ لَعجٌ في الصدورِ
ومـدامعٍ مصبوبـةٍ ما اطفأت لهبَ السعيرِ
وتحـيُّرٍ لمصيبـةٍ أودت بعقول الصـدورِ
ولكم غدا من مُهجةٍ حرَّى ومن قلب كسيرِ

***

ادمونَ نابغـة الحداثة م صاحبَ الـذهن البصيرِ
ادمون يا نعمَ الفـتى المنسوب ذا العقل الكبيرِ

***

قد كنت نورًا في الديا ر وقد غدت من غير نورِ
يا بـدرَ تمٍ نقصُـهُ اذ تمَّ . ذا شأنُ البدورِ

اين الغضاضة والرواء م بذلك الجسم النضير

***

وهناك سقمٌ حار م منهُ كلُّ ذي طبٍ خبيرِ
وغدا الأساةُ وما لهم علمٌ بما خلفَ الستورِ
والمرء لا يدري من م المرئيِّ شيئاً عن قصورِ
وتراهُ يرجم بالظنو ن محلَّ الامر العسيرِ
وتراهُ يلعب بالرما ل يهولهُ غوصُ البحورِ
ولقد كفى جهل الورى أن يجهلوا عُقبى الامورِ
فمشوا بظلمات الغبا وةِ منذ سالفة العصورِ
حتَّى بدا ربُّ الخلو دِ مضوِّناً سُبل النشورِ

***

انطون ان الصَّحب نا دوا بالشقاء وبالثبورِ
انطون ليس لخطبك م الداهي المعظَّم من جبورِ
لولا الذي آجالُنا بيديهِ سلطانُ الدهورِ
ومُقدَّرُ الاعمار او محدودها بيد القديرِ
ادمونُ عاريةٌ لديك فرُدَّ عاريةَ المعيرِ
ان لم تَصَبَّرْ عن رضاً لم تغتنم اجر الصَّبورِ

***

هذي الدُنى ان تَبلُها ليست سوى دار الغرورِ
والموت لا يُنجيك من أهوالهِ خفرُ الخفيرِ
وبناء صرحٍ شاهقٍ تلجا اليهِ وشيد سورِ
فله الدخول الى القصور كما الى كوخ الفقيرِ

لا حاجبٌ من دونــهِ أوْلا فيعمــدُ للدمورِ

***

ان كان آخرةُ المــلا ذاكَ الحدورُ الى القبورِ
فلِمَ الحيــاة وكلُهــا نَصَبٌ ولو ضمنَ القصورِ
ما قيمة الانسان عقبــاه م مكــوث في الحفيرِ ؟

***

يا نفس انــك عرضةٌ للموت منــهُ في شفيرِ
يا نفس أنذَركِ الردى فأصغي الى صوت النذيرِ

***

والنفس ما دامت بهذا م الجسم كانت تحت نيرِ
فاذا هي انطلقتْ غدَت تعدو الى الوطن المنــيرِ

***

يا روحَ ادمونٍ الى م السموات باسم الله سيري
ان كان نعيُكِ هــا هنا فهنــاك تبشيرُ البشيرِ

***

ورأيت نفسكَ في الحيا ل فقلت مَلْكٌ في سريرِ
ورأيت روحك طــائرًا ومحلقاً فوق النسورِ
ورأيت بالايمان روحك والمــلائك في الحضورِ
ولك المسيحُ مخلّصٌ وبهِ بــهِ حسنُ المصيرِ

***

دارُ الخلود الملــتقى وا فرط شوقي للنشور

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٩ الاخطل التغلبيّ

ليس بين شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام شاعر بلغ مبلغ الاخطل التغلبيّ بجودة شعرهِ ومتانتهِ وغزارتهِ وتفنُّنهِ . وقد اتَّفق على ذلك كل ارباب النقد على اختلاف نزعاتهم واديانهم ومواطنهم . فـلا يَسَعنا ان نضرب صفحاً عنـهُ في ذكرنا لشعراء النصرانيَّة في عهـد بني اميَّة وهو شاعرُهم غير منازَع يفتخرون بهِ ويحلُّونهُ محـلَّ ندمانهم واعزَّ اصدقائهم ويجيزون لهُ ما لا يجيزونهُ لسواهُ من اصحابهم

على انَّ احد اخوتنا حضرة الاب انطون صالحاني قد شُغف بهِ وبشعرهِ منذ ثلثين سنةً فلم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من امورهِ الَّا كشف عنها القناع استناداً الى ثلث نسخ من ديوانهِ والى ما ورد من اخبـارهِ متفرّقاً في عشرات من تآليف الادباء . وهو لا يزال يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ ليلتقط ما لعلَّهُ فاتهُ من آثارهِ ويُعدُّ فهـارسهُ التي ستكلّل طبعة ديوانهِ بتاجٍ من الكمال لا نظنُّ ان شاعرًا آخر اصاب مثلهُ . وعليهِ لم يبقَ لنا الَّا ان نغرف من هذا البحر الطامي ونستخرج بعض دراريهِ لنصوغ لشاعرنا قلادةً صغيرة محيلين قرَّاءنا الى ما جمعهُ رصيفنا المفضال

﴿اصل الاخطل ونسبهُ وصباه﴾ هو ابو مالك غيـاث بن غوث من قبيلة غَنم ابن تغلب . كان مولدهُ في اواسط القرن السابع للميلاد نحو السنـة ٦٤٠ . ولد في الجزيرة اي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرَّقة والرصافة . وكان ابوهُ غوث من وجوه قومهِ وامُّهُ ليلى تُعرف بامّ كعب وكانت تحبُّهُ وتُعنى بأمرهِ .

وكان الولد اشهب الشعر لطيف المنظر فعلَّقت على صدرهِ صليباً لم ينزعـهُ عن صدرهِ

حتى في ايّام كهولتهِ وعند دخولهِ على الخلفاء. فعُرف لذلك بذي الصليب

ما كاد الولد يبلغ اشدَّهُ حتى ظهرت فيهِ ملامح النجابة والذكاء. ولعلَّهُ تفقَّه في اصول القراءة والكتابة على بعض كهنة قومهِ . وما يلوح من بعض اعمالهِ في صباهُ انَّهُ كان فَرِهاً جريئاً سليط اللسان لا يهاب سطوة اكبر منهُ فلقَّبوهُ بالاخطل اي السفيه . وسَمِع الشعر من بعض مواطنيهِ فتنبَّه اليهِ ذهنهُ ووجد في قريحتهِ شحذاً لغَربهِ فقالهُ وهو غلام مترعرع

﴿دينهُ﴾ ولد الاخطل نصرانياً وتلقَّن مبادئ دينهِ في حداثتهِ وثبت عليهِ في مدى حياتهِ . والمرجَّح انهُ كان على مذهب اليعقوبيَّة الذي كان شاع في قبائل البادية . وكان الاخطل يجاهر بدينهِ لا يعمل فيهِ الحياء البشري . والدليل عليهِ دخولهُ على الخلفاء والصليب على صدرهِ لا يخجل من حَمْلهِ علانيةً . كما انَّ هجاء اقرانهِ الشعراء ولاسيَّما جرير لم يؤثّر فيهِ من هذا القبيل . ولمَّا عَرض عليهِ الخليفة عبد الملك ان يدين بالاسلام أبى ونجا منهُ بأبيات هزليَّة . وسمعهُ هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدتهِ اللاميَّة قولهُ :

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالح الاعمالِ

فقال لهُ : هنيئاً لك يا ابا مالك هذا الاسلام . فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما زلتُ مسلماً في ديني . ولمَّا دعاهُ بعضهم في الكوفة الى دخول مسجد بني رؤاس ليصلّي وكان مؤذّنهم نادى بالصلاة قال (من الوافر) :

أُصلّي حيثُ تُدرِكني صَلاتي وليس البِرُّ عند بني رؤاس

وربَّما قرَّعوهُ بالكفر فكان لا يكترث لشتمهم . وعلى خلاف ذلك كان يرضخ لاوامر رؤسائهِ النصارى ويتقرَّب اليهم في اسرار دينهِ فكان «يقوم بين يدي قسّيسهِ لأخذ القربان» كما بكّتهُ عليهِ جرير بعد قولهِ (من الطويل) :

وانّي لقوّامٌ مَقاوِمَ لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُها

بل كان مع ابائهِ وعزَّة نفسهِ لا يستنكف من تأديب رؤسائهِ لهُ كما اخبره عنهُ

في الاغاني ابو الفرج عن احد الرواة انـهُ رأى القسَّ في الجزيرة وقد قبض بلحيـة الاخطل وضربَهُ بعصاهُ وهو يُصي كما يصي الفرخ فقال لهُ : اين هذا مما كنتَ فيـهِ بالكوفة . فقال لا فُضَّ فوهُ : يا ابن اخي اذا جاء الدين ذَلَلْنا (الديوان ٣٣٧)

واعجبُ منهُ ما رواهُ هناك ايضاً اسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نون عن تذلُّلهِ في دمشق لقسّيسهِ وفي طبقات الجمحي (ص ١٤٤) لاسقفهِ قال (الاغاني ٧ : ١٨٢-١٨٣) :

«قدمتُ الشام وانا شابٌ مع ابي فكنتُ اطوف في كنائسها ومساجدها فدخلتُ كنيسة دمشق واذا الاخطل محبوس فجعلتُ انظر اليهِ فسأل عني فأُخبر بنسبي فقال : يا فتى انك لرجل شريف واني اسألك حاجةً . فقلتُ : حاجتُك مقضيَّة . قال : انَّ القسَّ حبسني ها هنا فتكلّمهُ ليُخلي عني . فاتيتُ القسَّ فانتسبتُ لهُ فرحَّب وعظَّم . قلتُ : انَّ لي اليك حاجةً . قال : ما حاجتك . قلتُ : الاخطل تخلي عنهُ . قال : « اعيذُك بالله من هذا . مثلُك لا يتكلَّم فيهِ فاسق يشتمُ اعراض الناس ويهجوهم » . فلم ازل اطلب اليهِ حتى مضى معي متّكئاً على عصاهُ فوقف وجعل يهدّدهُ ورفع عليهِ عصاه وقال : « يا عدوّ الله أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذف المحصَّنات » وهو يتضرَّع اليهِ ويقول : « لستُ بعائد ولا افعل» ويستخذي لهُ . (قال) فقلتُ لهُ : « يا ابا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي لهُ (قال) فجعل يقول لي : انَّهُ الدين انَّهُ الدين »

وآثار الدين في شعر الاخطل قليلة سواء كان السبب ضياع بعض شعرهِ ام بالاحرى لعدم وجودهِ داعياً لوصف الدين . وفي ديوانهِ انهُ كان يحلف بالانجيل والقربان . وفي شعرهِ اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرَّر فيهِ ذكر الانبياء والجنّة والخلود . وقلّما تجد قصيدةً بين قصائدهِ الَّا دلَّت على تديُّنهِ ان لم تدلّ على نصرانيّتهِ

✿ اتصال الاخطل بالخلفاء ✿ تنقَّل الاخطل في البلاد مع قبيلتهِ تغلب الرُّحَّل فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومهِ بني مالك وعاش مدَّة في الحيرة حتى قال عنهُ في الاغاني (٧ : ١٧٠) انهُ « كان نصرانيّاً من اهل الحيرة » وقد مرَّ لنا ذكر مرورهِ بالكوفة . ثمَّ نمى خبرهُ الى الخلفاء بني اميَّة فرحل اليهم الى دمشق فما لبث ان حظي عندهم اوفر حظوى لمَّا سمعوا انشادهُ واختبروا جودة قريحتهِ وغزارة مادَّتهِ ورسوخ قدمهِ في صناعة الشعر وابتكارهِ للمعاني البليغة وصوغها في الطف ديباجة من اللفظ . وقد مدح خلفاء الامويين مباشرة بيزيد بن معاوية ثم نظم القصائد الطنّانة

في عبد الملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فأولع الخلفاء بشعره وحملهم تفضيلهم له على غيره الى ان دعوه بشاعر بني أُميَّة واكرموه ايّ اكرام واغزروا عليه صِلاتهم بل حدا بهم حبّهم له انهم اتخذوه كنديمهم ولم يؤاخذوه بشربه الخمر. وكان عبد الملك خصوصاً معجباً به اخبر ابو عمرو (الاغاني ٧: ١٧٧—١٧٨) قال: لقد كان الاخطل يجيء وعليه جبَّة خزّ وحرز خزّ في عنقه سلسلة ذهب تنفض لحيتهُ خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن. فلمَّا انشده قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من البسيط):

خفَّ القطينُ فراحوا منك اوبكَروا وأزعجتْهم نوًى في صَرفها غِيَرُ

قال عبد الملك لغلامه: خذ بيده يا غلام فأخرجهُ ثمَّ ألقِ عليه من الخلع ما يغمره وأحسِن جائزتهُ. ثمَّ قال: انَّ لكل قوم شاعرًا وانَّ شاعر بني اميَّة الاخطل

وفي الاغاني (٧: ١٧٥) نكتةٌ هزليَّة رواها قبل انشاده القصيدة السابقة قال:

«دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فقال: قد يَبِسَ حلقي فمُرْ مَن يسقيني. فقال: اسقوه ماء. فقال: شرابُ الحمار وهو عندنا كثير. فقال: فاسقوه لبنًا. قال: عن اللبن فُطِمتُ. قال: فاسقوه عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتُريد ماذا؟. قال: خمرًا يا امير المؤمنين. قال: او عَهِدتَني اسقي الخمر لا أمَّ لك لولا حرمتُكَ بنا لفعلتُ بك وفعلتُ. فخرج فلقي فرَّاشًا لعبد الملك فقال: ويلك انَّ امير المؤمنين استنشدني وقد صَحِلَ صوتي فاسقني شربةَ خمرٍ. فسقاه فقال: أعدِلْهُ بآخر. فسقاهُ آخر. فقال: تركتَهما يعتركان في بطني. اسقِني ثالثًا. فسقاهُ ثالثًا فقال: تركتني امشي على واحدة أعدِلْ مَيلي برابع. فسقاهُ رابعًا فدخل على عبد الملك فانشده»

قال الاصمعيّ فلمَّا انشده قصيدتهُ «خفَّ القطينُ» جعلتُ أرى عبد الملك يتطاولُ لها ثم قال: ويحك يا اخطل أتُريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعرُ العرب؟ قال: اكتفي بقول امير المؤمنين. وامر له بجفنة كانت بين يديه فمُلئت دراهم والقى عليه خلعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعرُ العرب

وكما تفرَّد الاخطل بمديح بني اميَّة قد برَز ايضاً في مديح كبار دولتهم واعيان زمانه كبشر بن مروان والحجّاج بن يوسف وعِكرمة الفيَّاض ومَصقلة بن هبيرة

وهمَّام بن مُطَرِّف ويزيد بن المهلَّب وكثيرين غيرهم . وكانوا كلُّهم يفضّلون مديحهُ على كلّ نفيس ثمين

جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (٢ : ٣٥٠—٣٥١) وفي تحفة المجالس للسيوطي (ص ٢٠٢) وغيرهما انَّ الحجّاج بن يوسف حبس يزيد بن المهلَّب (والي خراسان) لبقايا كانت عليهِ من خراج خراسان وأقسَمَ ليَستأدي منهُ كلّ يوم مائة الف درهم . فبينما هو يوماً وقد اختلى فيهِ اذ دخل عليهِ الاخطل فأنشدهُ (من الطويل) :

أبا خالدٍ ضاعت خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجاتِ اين تُريدُ
وما قطَرَتْ بالريّ بعدكَ قَطرةٌ ولا اخضرَّ بالمَرْوَيْنِ بعدكَ عُودُ
وما للسرير بعد مُلكِكَ بهجةٌ ولا لجوادٍ بعد جودكَ جودُ

فقال : يا غُلام أعطِهِ المائة الف درهم وانا اصبرُ على عذاب الحجّاج ولا نُخيب الاخطل . فبلغ الحجّاج فقال : للهِ درُّ ابن المهلَّب لو كان تاركاً للسخاء لتركهُ وهو يتوقَّع الموت فعفى عنهُ وخلَّى سبيلهُ (١

❁ رُتبة الاخطل بين الشعراء ❁ اذا ما جمعنا ما حكَمَ بهِ ارباب اللغة واصحاب النقد الصحيح عن شعر الاخطل لاتَّضح لنا انهُ بلغ رتبةَ اكبر شعراء العرب وكلّهم ينظمهُ بين فحولهم الاوَّلين . وكفى بهِ فخراً ان ابا عَمر بن العلاء جعلهُ في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبيانيّ في الجاهليَّة ويفضّلهُ لصحة شعرهِ . وقد قال عنهُ (الاغاني ٧ : ١٧٤—١٧٥) : « لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهليَّة لَما فضَّلتُ عليهِ احداً» . ومثلهُ ابو عبيدة كان يقول : «شعراء الاسلام الاخطل ثمَّ جرير ثمَّ الفرزدق . والاخطل اشبه بالجاهليَّة واشدُّهم أسرَ شعرٍ واقلُّهم سقطاً » . وروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٣٠١) لمسلمة بن عبد الملك انهُ شبَّهُ الاخطل وجريراً والفرزدق بثلثة افراس تجري في حَلبة السباق فقال : انَّ الاخطل سابقٌ ابداً في كلّ حالاتهِ بخلاف

---

١) اطلب ديوان الاخطل (ص ٣٨١—٣٨٢) وراجع ما ورد هناك في نسبة هذه الابيات لغير الاخطل

جرير والفرزدق اللذين يتقدَّمان حيناً ويتخلَّفان حيناً آخر. وقد خصُّوا الاخطل بالتقدُّم في الوصف والفخر ومدحوا هَجوهُ فقالوا انهُ كان اخبث الشعراء هجاء في عفافٍ من الفُحش. والفحش كثير في شعر جرير والفرزدق. وسُئل حمَّاد الراوية عن الاخطل فقال: «ما تسألوني عن رجل قد حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيَّة». ثمَّ قال: اشعر العرب شيخا وائل: الاعشى في الجاهليَّة وهو صنَّاجة العرب. والاخطل في الاسلام»

ولمَّا كان الفضل ما اقرَّت بهِ الاعداء يحسن بنا هنا ان نروي ما اخبر بهِ نوح بن جرير (الاغاني ٧: ١٧٢) قال: بينا انا آكل معهُ يوماً وفي فيهِ لقمة وفي يدهِ اخرى فقلتُ: يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل؟ فجرض بلقمتهِ التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال: «يا بُنيَّ لقد سررتني وسُؤتني فأمَّا سرورك ايَّاي فتعهُّدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ. وأمَّا ما سؤتني بهِ فذكرك رجلًا قد مات. يا بُني ادركتُ الاخطل ولهُ نابٌ واحد ولو ادركتهُ ولهُ نابانِ لأكلني. ولكنّي أُعِنتُ عليهِ بكفر (يريد نصرانيَّتهُ) وكبر سنّ»

﴿اخبار الاخطل في حروب قومهِ﴾ لمَّا توفي يزيد بن معاوية الخليفة الامويّ سنة ٦٤ (٦٨٣م) اعتزل ابنهُ معاوية الثاني بعد مئة يوم وبايع الناسُ عبد الله بن الزبير في المدينة أمَّا اهل الشام فبايعوا مروان بن الحكم فكان ذلك سبباً لحرب عوانٍ وقعت بين الخليفتين كان فيها النصر لمروان على خصمهِ في مَرج راهط قريباً من دمشق. وكان التغلبيُّون يناصرون مروان بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله ابن الزبير. فثبتت العداوة مدَّةً بين القبيلتين ووقعت عدَّة وقائع بينهما كان الظفر فيها سِجالًا لاحدى القبيلتين وكان الاخطل يحارب القيسيين مع تغلب ولهُ في وصف تلك الحروب قصائد يصف ويلاتها ويذكر فظائع قيس ورؤساءهم كزُفر بن الحارث وعُمَير بن الحُباب والجحّاف. وفي احد ايام هذه الحروب في يوم البشر قُتل ابو الاخطل غياث وقيل بل هو ابنهُ ابو غياث ووقع الاخطل في أَسر الاعداء. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٣١–٦٣٢): «أُسِر الاخطل وعليهِ عباءة فظنّوهُ عبدًا وسُئل فقال: انا عبد. فخُلّي سبيلهُ فخشي ان يُعرف فيُقتل فرمى نفسهُ في جبّ من جبابهم فلم يزل فيهِ حتى انصرف القوم فنجا. وعظم قدر التغلبيين في اعين بني اميَّة وحملوا ديات القوم. على انَّ الاخطل فارتْ في قلبهِ فائرة الغضب اذ بلغهُ يوماً بعد صلح

القبائل انّ عبد الملك استنزل زُفر بن الحارث من قصرهِ في قرقيسيا وأقعدهُ معهُ في سريرهِ . فدخل عليهِ ابن ذي الكلاع وكان قومهُ حاربوا مع تغلب وبني اميَّة فلمَّا رأى زفر على السرير بكى فقال لهُ عبد الملك : ما يبكيك فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافهِ عليك ثمّ هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم أُجلِسْهُ معي لانهُ اكرمُ عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فقال الاخطل لمَّا أُخبر بذلك : أما والله لأقومنَّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْهُ ابن ذي كلاع ثم دخل على عبد الملك فلمَّا ملأ عينهُ منهُ قال (من الوافر) :

وكأسٍ مثلِ عينِ الديكِ صِرفٍ تُنَسِّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلثاً بغير الماء حاول ان يَطولا
مَشي قُرشيَّةً لا عَيبَ فيها وأرخى من مآزرهِ الفُضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما أخرَجَ هذا منك يا ابا مالك الّا خطَّةٌ (خلَّة؟) في رأسك قال : أجل يا امير المؤمنين حين تُجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس :

لعمري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهطٍ لمروانَ صدعاً بيننا مُتنائيا
فلا صُلحَ حتى تَنحطَ الخيلُ بالقنا وتثأرُ من نسوان كلبٍ نسائيا
فقد ينبت المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجلهُ ثمَّ ضرب بها صَدرَ زُفر فقلبَهُ عن السرير . وقال : أذهَبَ اللهُ حزازات تلك الصدور . فقال : انشدُكَ الله يا امير المؤمنين والعهدَ الذي اعطيتني . فكان زُفر يقول : ما ايقنت بالموت قطّ الّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال (الاغاني ٧ : ١٧٦—١٧٧)

❊ موت الاخطل ❊ قال حضرة ناشر ديوان الاخطل (ص ٣٧١) : انَّ الاخطل عمّر عمرًا طويلًا حتى قيل عنهُ انهُ «شيخ قد تحطَّم الاغاني (٧ : ١٧٢) وانهُ » دخل

بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنَّ ونفدَ اكثر عمره» (الاغاني ٧ : ٣٨) ووُصف بانهُ «رجل ابيض الرأس واللحية (الاغاني ٩ : ١٦٩) فـاستنتج حضرتهُ من هذه الادلّة ان الاخطل يكون توفّي نحو السنة ٦٩٢ ه اي ٧١٠ المسيح. قال حضرتهُ : « الّا انَّ شوكتهُ في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادَّةً نافذةً يرشدك الى ذلك قصائد درّيّة نظم جواهرها في آخر حياتهِ . وكانت وفاتهُ في خلافة الوليد بن عبد الملك ولهُ فيهِ عدَّة قصائد امتدحهُ بها»

وروى صاحب الاغاني (٧ : ٦) انَّ الوليد بن عبد الملك قال لجرير : فما تقول في الاخطل ؟ قال : ما أخرجَ لسانُ ابن النصرانيَّة ما في صدرهِ من الشعر حتى مات » . واخبر ايضاً (٧ : ١٨٠) انهُ لمَّا حضرت الاخطلَ الوفاةُ قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي؟ فقال (من المتقارب) :

أُوصي الفرزدَقَ عند المَماتِ　　بأمّ جريرٍ وأَعيارها

وزار القبورَ ابو مالكٍ　　برَغم العُداة وأوتارها

﴿ ديوان الاخطل ﴾ روى ابن الاعرابي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٧٨ و ١٥٧) انَّ ابا سعيد الحسن المعروف بالسكّري « عَملَ شعر الاخطل وجوّده » اي ضبطهُ ونظّمهُ . وانَّما كانت نُسخ هذا الديوان اعزَّ من بيض الأنوق . ولقد كان يُعرف منها الى السنة ١٨٨٧ نسخة وحيدة قديمة في بطرسبورج كان يصعب الاطّلاع عليها . ففي السنة ١٨٨٧ اهدى الى مكتبتنا الشرقيَّة احدُ الاصحاب عدَّةً من المخطوطات التي كان الحلبيّ الشهير والاديب البارع رزق الله حسّون نسخها بخطّهِ الجميل نسخاً بديعاً على ورق صقيل مزيّن الاطراف بنقوش صناعيَّة رائعة . فكان من جملتها نسخة من ديوان الاخطل منقولة عن نسخة بطرسبورج . فنبَّهَ وجودها خاطر حضرة الاب صالحاني واستفزَّتهُ النخوة لنشرها كأثر فريد في جنسهِ . ثمَّ كتب لناظر مكتبة بطرسبورج المستشرق الطيّب الذكر البارون فون روزن فتلطَّف وقابل النسخة الحسّونيَّة على الاصل الذي ترى منهُ مثالًا في صدر طبعتنا . فتحفّز الاب الغيور بعد ذلك للعمل ونشر الديوان بأهبة علميَّة مستوفية ضاعفت قيمتهُ فبلغ مع حواشيهِ وملحوظاتهِ المتنوّعة ٤٠٠ صفحة في اربعة اقسام . هذا فضلًا عن طبعهِ

البديع الذي قلّما يُشبههُ كتاب آخر في مطبوعات الشرق والغرب

ولمّا كانت السنة ١٩٠٥ توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي المرسل في بغداد فوجد نسخة مخطوطة من ديوان الاخطل في دار السلام . فتمكّن متولّي طبع الديوان من اقتنائها بهمّة الاب الكرملي فنشرها بتصوير النور وطبع الحجر لما فيها من الزيادات والروايات والشروح التي لا توجد في نسخة بطرسبورج ودلّ على كلّ ذلك بتذييلات وفهارس متقنة . فجاء هذا الاثر طرفةً جديدة تضاف الى السابقة

وبعد ذلك بسنتين أطلع جناب الدكتور الايطالي والمستشرق اوجينيوس غريفيني الاب صالحاني على نسخة ثالثة وُجدت في اليمن ذات فوائد جمّة فرضي ان ينشرها في مطبعتنا كتتمّة للنسختين السابقتين . وقد عُلّق عليها ايضاً كثير من التعليقات المفيدة والفهارس المدقّقة مع المقدّمات المتنوّعة . فزاد اقبال العلماء على هذا الديوان الجميل

ثمّ بلغ حضرة الاب انّ في الاستانة العليّة في المكتبة المعروفة بالعموميّة (ع ٥٤٧) نسخةً فريدة قديمة جدًّا بخطّ يقرب من الخط الكوفي من نقائض جرير والاخطل فيها عدّة قصائد ليست في نسخ الديوان او هي اتمّ منها . فلم يصبر عنها حتى تجشّم السفر الى عاصمة الدولة والحربُ على وشك الانتشاب فاستنسخها واعدّها للطبع في بُهرة الحرب فما كادت تحطّ اوزارها حتى باشر بنشرها فجاءت اثرًا رابعاً لا يقلّ ثمنهُ عن الآثار المتقدّمة كما شرحنا ذلك في مقالة انتقاديّة في المشرق (٢٠ :[١٩٢٢]: ١٤٤ - ١٤٨)

ويُضاف الى المطبوعات السابقة ملحقٌ على ديوان الاخطل يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة ظهر منهُ قسمهُ الاوّل في ١٠٧ صفحات دقيقة الحروف وسيظهر عمّا قريب ان شاء الله قسمهُ الثاني الاخير . جازى الله اوفر جزاء القائم بهذا العمل الذي تنوء تحت عبئهِ مناكب الفحول

(لها بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mgr A. Baudrillart : Lettres d'un pèlerin. *in-8° illustré*, *Paris*, 1924, *Bloud et Gay*. *Prix* 10 f^s^

مراسلات زائر

الزائر هو احد اساقفة فرنسة السيّد المفضال الفرد بودريليار كان في العام السابق قائدًا لجماعة زوّار الاراضي المقدّسة الافرنسيّين وهي زيارتهم الوطنيّة الحادية والخمسون فكان سيادتهُ في كلّ مرحلة من مراحل قومهِ الاتقياء يراسل جريدة «لاكروا» الباريسيّة فيفصّل اخبار النفر الذين تنقّلوا من اثينة الى القاهرة مارّين في طريقهم ببيروت وازمير ودار السلطنة العثمانيّة ثم رودس وقبرس والناصرة وبيت لحم والقدس الشريف فجُمعت هذه الرسائل في كتاب منفرد مزيّن بتصاوير بديعة. وكفى تنويهاً بقيمة الكتاب انّهُ لاحد اعضاء اكادمية فرنسة ج. ل

Ch. Ayoub: Les Mandats orientaux. 1 vol., gr. in-8°, Paris, Recueil Sirey, 1924, Prix 12 f^s^

الانتدابات الشرقيّة

هذا من أدقّ وأحكم التآليف التي ظهرت الى يومنا في تحديد الانتدابات وصنوفها واوصافها. فانّ مؤلّفهُ جمع كلّ ما ظهر حتى يومنا من المعلومات في هذا الشأن. وقد قسم كتابهُ قسمين بحث في القسم الاول عن أحكام الانتداب السياسيّة والمعاهدات التي جرت في زمن الحرب وبعدهُ بين الدول سرًّا او علانيةً مع معارضة تركيّة لها. وخصّ القسم الثاني بأحكام الانتداب الشرعيّة وهو القسم المبتكر من كتابهِ اذ يبحث عن اصول الانتدابات وقابل بينها في العهد السابق للحرب والزمن التالي لهُ فبيّن انّ الانتدابات الدوليّة كانت قديماً على شكلين اعني الاستعمار والاستقلال النوعي (Mandats B et C) ولم يعرفوا بالانتداب الذي ابتدعوهُ بعد الحرب وجروا عليهِ في فلسطين والعراق وسوريّة فسلّموها الى دولٍ محبّة تسعى في اصلاحها. وغاية هذا الانتداب الحكم الموقّت على تلك البلاد وتدريب اهلها الى الاستقلال

التام (Mandat A) بمساعدتهم في امورهم السياسيّة والاقتصاديّة وحمايتهم من اعدائهم وارشادهم الى ما يؤول الى خير مواطنهم حتى اذا نضجت في تاريهم شروط السياسة الراشدة طاروا بأجنحتهم ودخلوا في دائرة البلاد المنظّمة. على انَّ هذا النوع من الانتداب قد جرت فيهِ على الرغم من عصبة الامم ضروبٌ من الاختلافات لم يمكن إزالتها بسبب المطامع الخاصّة وحتى اليوم قد تغاضوا عن حقوق الاقليات وأضربوا عن رغائب اهلها. وفيهِ دليلٌ واضح على أنَّ تلك الجمعيّات الدوليّة ومجلس الشورى الاعلى لا يستطاع الركون اليهما تماماً الَّا اذا عزّزت أحكامها سلطةٌ تقهر المعادين لها وفي آخر هذا الكتاب نصوص الاحكام الانتدابيّة التي نشرتها جمعيّة الامم

Abbé Félix Klein : UNE EXPÉRIENCE RELIGIEUSE, Madeleine Sémer, convertie et mystique (1874-1921). 1 *vol. in*-16, 14[e] *éd. revue*, 1924, *Paris, Bloud et Gay, Prix* 10 *f*

ارتداد السيّدة مادلين سيمر الى الكثلكة

تربّت هذه السيّدة في مدارس لا دينيّة فتشرّبت روحها الكفريّ وعاشت مُعجبة بمعارفها واثقة بنفسها. فبقيت على ذلك مدّة الى ان دهمتها مصائب الحياة فشعرت ببطلان علومها وبضعف قواها ووقفت لاوّل مرّة على شؤون الدين وعظم مقامهِ في المجتمع الانساني وفي قلوب البشر فانار الله عقلها وارتدّت الى الدين الكاثوليكي القويم سنة ١٩١٤ ولم ترضَ بما منحها الله من موهبة الايمان حتى قصدت ان تجتذب اليهِ كلّ معارفها فاضحت منذ ذلك الحين كرسولٍ واستنفدت معظم قواها في هذه الغاية الشريفة ولم تزل تجمع بين قداسة نفسها وتقديس قريبها حتى ماتت ميتة الابرار. فهذه سيرتها التي راجت ايَّ رواج حتى بلغت اليوم الطبعة الرابعة عشرة ج. ل

J Walther: DAS GESETZ D. WUESTENBILDUNG IN GEGENWART U. VORZEIT. 4[te] neuarbeitete Auflage mit 203 Abbild., Verlag Quelle u. Mayer, 1924, Leipzig, broché 14 Marks, relié 16 M.

السُنَن الطبيعيّة في تكوين الصحاري

هذا كتاب وافر الصور كثير الفائدة لتاريخ جزيرة العرب. فانّ مؤلّفهُ تخصّص البحث عن احوال البوادي والصحاري عموماً في بلاد شتّى كافريقية واوسترالية فضلًا

عن جهات العرب فدرس .فاعيل الارياح والشمس فيها . ومما ذكره عن الشمس انها تيبّس الارض فتمنع بيبوستها نموّ النبات فيها وتغطيها برواسب ملحيّة تحول دون استنباتها ومع هذا نرى في الصحاري من الزهور والاعشاب ما يندرُ في غيرها . امّا الاشجار فتتأصّل جذورها وتستطيل الى اعماق تبلغ احياناً ٣٠ متراً لتستمدّ منها الرطوبة التي تحتاج اليها . وربّما وقع البذار في ارضها وبقي محجوباً في تربتها سنين متوالية فاذا ما سقط المطر عليها نبتت وسمقت . ومما اثبتهُ المؤلف انّ الصناعة البشريّة تستطيع في بعض الاحيان ان تضيّق نطاق الصحراء فتربح منها قسماً للزراعة كما بيّنا ذلك في كتابنا المعنون «مهد الاسلام» . وعندنا ان البيروتيين يستطيعون ان يختبروا الامر في ما يحدق بمدينتهم من الرمال التي غلبت على جهتهم بتهاون اجدادهم فيعيدونها الى خصبها السابق

الاب ه. لامنس

I. Les Larmes du Veuvage essuyées par **S. Fr. de Sales.** Lettres de consolation adressées à des Chrétiens de son temps, avec notes et avant-propos, par **Ch. Brunetière**, *Nouvelle éd., in-32, Prix* 1 f^r, 50 = II. **Eug. Duplessy** (Ch.): Histoires de Catéchisme, à l'usage des Catéchistes et des enfants des Catéchismes, 3 *vol. in-12, chaque vol.* 6 f^r = III. Almanach de la Bonne Nouvelle, pour l'année 1925. Prix 1 f, 80. *Publications du Libraire - éditeur P. Téqui, Paris, rue Bonaparte 82, en vente à Beyrouth à la librairie du Foyer.*

تعزية الارامل – قصص واخبار للتعليم المسيحي – تقويم لسنة ١٩٢٥

هذه ثلثة كتب دينيّة ادبيّة تلفت اليها انظار قرّائنا . اوّلها مجموع رسائل كتبها القديس فرنسيس دي سال لبعض ارامل زمانه ليفرج كربتهنّ بعد وفاة ازواجهنّ . واسم مؤلفها يغني عن وصفها ولاسيّما انّ متولّي طبعها المسيو شرل برونتيار زادها حسناً بما اضاف اليها من المقدّمات والملحوظات المستحسنة – والكتاب الثاني وُضع خصوصاً لافادة معلّمي التعليم المسيحي ومنفعة دارسيه الاحداث . وهو مجموع واسع يحتوي من الاخبار اطربها ومن القصص أبهجها مما اقتطفهُ المؤلف من التواريخ وسير القديسين وكتابات الآباء ورسائل المرسلين . فلا ريب ان كل من يُعنى في المدارس بشرح التعليم الديني يُقبل على هذا الكتاب ليقتبس من انواره فيبجّن تعاليمهُ في

قلوب سامعيه . أمّا الكتاب الثالث فهو تقويم سنوي يُعرَف «بتقويم البُشرى الطيّبة» يحتوي كلّ ما حَسُن وراق من ضروب الفوائد في كلّ فنّ . وقد اصاب في فرنسة شهرةً مستفيضة

Colonnes dans le Levant, par le Colonel de Génie breveté **Normand** avec 14 photographies et croquis, dont 2 hors texte, *vol. in-12, Paris, Charles Lavauzelle et C^ie^, Paris*, 5 f^s^

الفرق العسكريّة في المشرق

قرأنا بكل لذّة هذا الكتاب الذي صنّفهُ الكرولونل نورمان فوصف فيهِ سفارتهُ الى الاتراك في ديار بكر ثمّ ما جرى من الحركات العسكريّة في قيليقية ومرعش في محاربتهم مع ما طرأ على الفرنسويين والارمن حينئذٍ من الطوارئ المفجعة التي لم ينجوا منها الّا بعد استنفاد الوسع ورغماً من عدد الاعداء وحوادث الجوّ الشديدة. ويحاول المؤلف تبرئة نفسهِ ممّا وجّهوا اليه من الملام في محاماة الارمن. فنوصي محبي تاريخ زماننا الحاضر والبلاد القريبة منّا بتمتيع نظرهم في هذا التأليف ل . ش

Ein Reformenversuch innerhalb d. koptischen Kirche in zwoelften Jahrhundert, von D^r^ **Georg Graf**. *in*-4, 1923, *Paderborn, Ferd. Schoeningh*

اصلاح الكنيسة القبطيّة في القرن الثاني عشر

انّ الكنيسة القبطيّة بعد انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكيّة غلب عليها الشعث والفساد لاسيما بعد ما حلّ باصحابها من الضغط وضروب المحن من قبل الدول الاسلاميّة الى أن قام في وسطها بعض ذوي الهمم العالية في القرن الثاني عشر فسعوا في استدراك المساوئ التي طمست محاسن الكنيسة المرقسيّة فعقدوا المجامع وألّفوا الكتب الدينيّة الخاصّة ووضعوا القوانين المختلفة في اصلاح الآداب في ارباب الكهنوت والشعب والمواظبة على الاسرار وتنمية روح الايمان والتّقى بين المؤمنين. فكل هذه الامور قد وردت متفرّقة في تآليف علماء الاقباط في ذلك العهد . فأحبّ حضرة الدكتور الخوري المستشرق الالماني جورج غراف المعروف بمصنّفاتهِ الشرقيّة ان يدرس تاريخ ذلك الاصلاح ويبيّن اسبابهُ وارباب،هُ وسوابقهُ ولواحقهُ فجمع كل

معلوماته هذه في كتاب ضخم حافل بالفوائد التاريخيّة والدينيّة المختلفة قلّما فاته شيء من احوال ذلك العهد البعيد . ولا شكّ ان محبّي تاريخ الكنائس الشرقيّة يقدّرون هذا الكتاب قدره ويشكرون صاحبهُ على همّته القعساء. ل . ش

Gerhardt (Prof. Oswald) : Der Stern des Messias, das Geburts u.d. Todesjahr Jesu Christi nach astronomischer Berechnung. *in*-8°, *pp. VI-144, 1922, Deichertsche Verlagsbuchhandl., Leipzig*

نجم السيّد المسيح وتاريخ ميلاده

لم يتّفق الكتبة على تحديد سنة مولد السيّد المسيح فكثر في ذلك القال والقيل وهاهوذا كاتب نقّاب الاستاذ جرهاردت قد عاد الى هذه المسألة وسعى ان يثبتها استنادًا الى النجم الذي رآهُ المجوس عند مولده (متى ٢ : ٢) فعلى رأي الاستاذ المذكور ليس هذا النجم نجمًا طبيعيًا ولا عجائبيًا وانّما هو مظهرٌ فلكي حدث السنة السابعة قبل تاريخ الميلاد باقتران سيّارتي المشتري وزحل . وليس هذا الرأي بمستحدث بل يرقى الى الفلكي كپلر الشهير وانّما الاستاذ جرهاردت يعرضهُ على صورة مؤثّرة مستندًا اوّلًا الى تاريخ الاقتران المذكور في الفلك ثمّ يؤيدهُ بمعتقد الفلكيّين البابليين الذين كانوا يُعلنون بان هذا المظهر الفلكي سوف يحدث سنة مولد مخلّص عظيم في اسرائيل لأنّ زُحَل على قولهم سيّارة محامية لبني اسرائيل . ثمّ يشفع هذين الدليلين بعدّة آيات في الاسفار المقدّسة تُنبئ بوجوب قوله الى هذا الحادث العظيم . ومن ثمّ اكتفى الانجيلي متّى بقوله دون زيادة «ورأينا نجمهُ في المشرق» (ἐν τῇ ἀνατολῇ) حيث حدث الاقتران المنوّه اليه . ويختم الكاتب قولهُ بانّ هذا المعتقد بمولد السيد المسيح السنة السابعة قبل التاريخ المسيحي كان شائعًا في القرون الوسطى بين المسيحيين واليهود الذين كانوا يطبّقون عليه احصاء كيرينوس المذكور في انجيل لوقا (٢ : ٣)

وان طلب القرّاء ما رأينا في قول الاستاذ جرهاردت أجبنا انّهُ عرض مسئلتهُ بكلّ دقّة وحذاقة فسُررنا بمطالعة كتابه الدالّ على علم واسع ومعارف شتّى الّا انهُ لا يسعنا الرضوخ الى رأيه لاسباب : (اوّلًا) لاستناده الى احصاء كيرينوس الذي لم يتّضح حتى اليوم زمن وقوعه مهما زعم اليهودي أبربا في التلمود . (ثانيًا) ليس من دليل على انّ اليهود كانوا يعتبرون كوكب زُحل كنجم المسيح وليس احد

بين كتبة النصارى الاولين يشير الى ذلك . (ثالثًا) ومما يحملنا خاصة على نفي رأي المسيو جرهاردت انهُ لا ينطبق على رواية القديس متى فانَّ نصَّ الانجيل يُشعر بمعجزة باهرة تدلُّ عليها كلَّ الناظرِ فلا اثر هناك لظهور طبيعيّ كما يزعم الاستاذ وكما ينفيهِ كلّ المؤمنين

الاب يوسف ديلنسيغر

ALLAH VEUILLE !... roman de **G. Zaidân** sur la révolution turque. traduit de l'arabe par. **M. Y. Bitâr** et **Thierry Sandre**. 1 *vol. in-12, Paris, E. Flammarion, éditeur*, 1924, *Prix* 7 *f*,50

رواية الانقلاب العثماني

كان المرحوم جرجي زيدان يتحف كلّ سنةٍ قرّاءهُ برواية لطيفة يكسوها بردًا قشيبًا من قلمهِ السيّال ويضمّنها حوادث تاريخيّة او خياليّة يُقبل على مطالعتها العموم برغبةٍ . ولعلّ روايتهُ «الانقلاب العثماني» كانت خاتمة تلك الروايات اخرجها على طريقة مؤثرة لقربها من زمانهِ ومعرفتهِ لظروفها . فأحبّ صديقنا الاديب ميشال بيطار تلميذ كليّتنا سابقًا ونزيل باريس حالًا ان ينقلها مع احد طلبتهِ المدعو تياري سَنْدر الى الافرنسيّة ليُطلعا الفرنسويّين على نتائج افكار اهل الشرق واملّهما زاداها رونقًا بترجمتها اللطيفة وتطبيقها على ذوق اهل الغرب

ORBIS PICTUS. Bd 19. ASSYRISCHE KUNST von **Otto Weber**. 1 *vol. in-4°, pp.* 19 *et* 48 *illustrations. Verlag Ernst Wasmuth A.G., Berlin. Prix Goldenmark* 2,10

فنّ النحت والتصوير عند الاشوريّين

يُنشر حالًا في برلين مجموع بديع يشمل نخبةً من كافّة ما اصدرتهُ الدول القديمة من المصنوعات الفنيّة الجميلة . يُعنى بابرازهِ الطبّاع ارنست فسموث . وهذا القسم وهو الجزء التاسع عشر من ذلك المجموع البديع تولّى بيان تاريخهِ مختصرًا احد مشاهير الاثريين اوتو ڤيبر ثمّ شفعهُ بثماني واربعين صورة من اجمل وادقّ ما وُجد في العراق من آثار الاشوريين منها التماثيل الضخمة والتصاوير البديعة المحفورة او الناتئة على الصخور الممثّلة لكلّ احوال تلك الدولة ومنها ما هو بالالوان الزاهية . فنشكر المؤلف على عملهِ ونثني على محلّ فسموث الذي قام بمثل هذا المشروع العظيم

ل . ش

مقابلة بين الحقوق الرومانيَّة والحقوق الاسلاميَّة والافرنسيَّة والانكليزيَّة

للاستاذ فائز الخوري

الجزء الاول: طبع في المطبعة الحديثة بدمشق ١٩٢٤ (ص ٢٧٦)

هذا اثر من آثار احد مدرّسي الحقوق الرومانيَّة في معهد دمشق واحد حكَّام الاستئناف في الفيحاء. اطَّلعنا على كتابهِ فاستحسنَّا غايتهُ ان يعارض الحقوق الجارية في عهدنا بالحقوق القديمة الرومانيَّة وهو بحث مفيد يوقف الباحثين على ما بين الشرع القديم والحديث من وجوه الفرق او الاتّفاق. امَّا مسألة العلائق التي بين هذه الشرائع واشتقاق بعضها من بعض فتحتاج الى نظر أدقّ ودرس اعمق وقد سبق احد المتخرّجين في مدرسة الحقوق الفرنسويَّة الاديب لويس دي برون وردّ في المشرق (٢٠ [١٩٢٢]: ٨٩٨-٩٠٣) على استاذ آخر من مكتب الحقوق الدمشقي عارف بك النكدي واثبت لهُ اشتقاق كثير من الشرائع الاسلاميَّة من الشرائع الرومانيَّة فلم يلمّح الاستاذ فائز الخوري الى هذه المقالة ولم ينفِ حججها. وعلى كلّ حال اننا نثني على تأليفهِ وفصولهِ المختلفة التي تتناول كثيرًا من المباحث الشرعيَّة وتُطلع على ما بينها من التوافق والاختلاف بابًا بابًا. وقد وقعت اغلاط عديدة في الاعلام اللاتينيَّة والالفاظ الاجنبيَّة المذكورة هناك فلا بُدَّ من اصلاحها في طبعة جديدة ل. ش

كتاب تاريخ الكنيسة القبطيَّة

تأليف الشمَّاس منَّسى القمص

طُبع بمصر في مطبعة رعمسيس سنة ١٩٢٤ (ص ٧٣٧)

ليس هذا اوَّل تاريخ كتبهُ احد الاقباط في عصرنا عن الكنيسة القبطيَّة فان الشمَّاس فرج جرجس كان سبق فنشر تاريخًا مختصرًا في ذلك لكنَّهُ اورد فيهِ امورًا كثيرةً لا تخصّ الاقباط ففائدتهُ من هذا القبيل قليلة. امَّا الكتاب الذي نحن في صددهِ فانَّهُ اوسع مادَّةً واخصّ موضوعًا استمدَّ كاتبهُ معلوماتهِ من قدماء الكتبة

وان تعرَّض ايضاً الى ما لا علاقة لهُ مع الاقباط من التاريخ الكنسي العامّ . وقد جاء في هذا التاريخ كما في تاريخ راهب برموس «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» (راجع الصفحة ٥١١–٥١٨) مزاعم متعدّدة تدلُّ على انَّ الكاتب تغشي ابصارَهُ النعرةُ القوميَّة . فكلُّ ما كتبهُ عن القديس مرقس والقديس بطرس في كتابهِ (ص ٧–١٢) لا سند لهُ صحيح الَّا في مخيّلتهِ وقد اثبتنا لرصيفهِ البرموسي شواهد كنيسته في انشاء بطرس الرسول الكرسي القديس مرقس في الاسكندريَّة فليراجعهُ ويردَّ عليهِ ردًّا علميًّا ليقنعنا بدعّياتهِ . ولو شئنا ان نعدّد ما في الكتاب من الاغلاط لطال بنا الكلام وهو كثيرًا ما ينقل دون تروٍّ عن كتبة البروتستانت اكاذيبهم . ولا بُدَّ ان نذكر قليلًا من شططهِ ليعرف القرَّاء مبلغ الشمَّاس من العلم . لو راجع مقالتنا عن البابا ليباريوس (المشرق ٣ [١٨٩٩] : ٤٤٩–٤٥١) لخجل ان يعود (ص ١٧٠) الى مسألة سقوطهِ ولتحقَّق ان كنيستهُ القبطيَّة بل كلَّ الكنائس الشرقيَّة تذكر في سنكسارتها عيد القديس ليباريوس وتكرمهُ كمعترف بالايمان . — أيستطيع الشمَّاس ان يقول لنا من هو «القديس اغناطيوس بابا رومية» الذي ذكرهُ في كتابهِ (ص ٢٦٨) فان اراد القديس اغناطيوس النوراني فهو اسقف انطاكية الذي يُعنون رسالتهُ الى الرومانيين «الى الكنيسة الرئيسيَّة» فيقرّ هكذا برئاسة رومية — ومن هو يا ترى «ارهارديوس بيليوس استاذ اللاهوت الادبيّ في كليَّة الجزويت بكابن بفرنسة» فهذه اوَّل مرَّة نسمع بيسوعيّ من هذا الاسم . واغرب من ذلك ما رواهُ عنهُ انهُ قال : «انَّ تقدُّم الباباوات منَّة مُنحت لهم من المجامع والقياصرة لا من الله» فنسي الشمَّاس كرصيفهِ البرموسيّ وكالخوري عيسى الحمصي قول الربّ لبطرس «انت الصخرة» وقولهُ : «لقد صلَّيتُ لاجلك لئلَّا ينقص ايمانك» وقولهُ : «ثبّتْ اخوتك» . وقولهُ : ارعَ خرافي ونعاجي» اهذا كلُّهُ منَّة من المجامع ومن القياصرة ؟ . وكم من اقوال غير هذه تدلُّ على تعصُّبه الذميم كعردهِ (ص ٤٤٢) الى خرافة البابة حنَّة التي فنَّدناها في المشرق (١٩ : ١٩٢١ : ٨٥٤–٨٥٩) وقس عليهِ كلامهُ البذيّ في الكنيسة اللاتينيَّة وفي مرسليها وعاداتها . فنكتفي بهذا القليل ليعلم العموم انَّ بضاعة اعداء الكثلكة زائفة مبنيَّة على جرفٍ هارٍ وحسبنا ان نكرّر للشمَّاس ما كتبهُ (ص ٤٩٨) عن قلّة علم الشرقيين مثلهِ ووفرة علم الغربيين حيث قال :

« ومما يؤسف لهُ ان نرى انفسنا اقلّ غيرة على آثار آبائنا من الغير فالغربيّون يُعنون بها ويبحثون منها بحثاً مدقَّقاً ويحفظونها في مكاتبهم ويترجمون النافع منها الى لغاتهم واما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على اثر »

فما اصدق قولهُ وكان الاحرى ان يرتشد بهِ قبل ان يكتب تاريخ امّتهِ فيشحنهُ بالاغلاط والاراجيف الكاذبة وان يَسعى باصلاح قومهِ من عِلّاتهم وينقذهم من مخاليب الشيع البروتستانيَّة التي تعيث بينهم وتفسد ايمانهم وتنقض كلّ تعاليم آبائهم ولاسيَّما القديس اثناسيوس الذي صرَّح مراراً قولاً وفعلاً برئاسة الحبر الروماني

بنات الشرق

كتاب قراءة موضوع لمدارس البنات

بقلم الخوري انطون يمين اللبناني (مطبعة قزما ١٩٢٦ ص ١٠٠)

اهدانا صاحب المكتبة الشاملة الاديب انطون افندي كنعان هذا الكتاب المطبوع على نفقتهِ ألَّفهُ حضرة الخوري انطون يمين لافادة مدارس البنات وهو يشتمل على ٢٩ درساً مدارها على آداب الفتيات وما ينبغي لهنَّ ان يمارسنهُ من الفضائل ويجتنبنهُ من الرذائل وذلك على طريقة سهلة قريبة المنال . وكنَّا وددنا لو أفرد بين هذه الدروس درسٌ في الدين وممارسة فرائضهِ والفتياتُ احوج الى ذلك من سواهنَّ . ولهذا المجموع ملحقٌ يتضمَّن اربع رسائل لسيِّدة فاضلة توجّهها الى تلميذةٍ لها قرب عهد زواجها لتحسن ادارة بيتها . وهي لا تصلح الَّا لمدارس البنات العليا اذ لا يليق ان تُعرَض مسألة الزواج وادارة المنزل الَّا لبالغات اوان الزواج . والكتاب مضبوط بالشكل الَّا الرسائل ولا يخلو التشكيل من بعض الهفوات ل . ش

باقة روايات

بقلم ا . ت

بيروت المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين ١٩٢٦ (ص ١٦٩)

هذه الباقة (وان شئتَ فقل « طاقة » كما نبَّه اليهِ صديقنا السيد محمد كرد علي)

مجموعة اربع عشرة رواية من الذّ الروايات وألطفها بقلم احد ادباء الوطن (ا ٠ ت) نُشرت اوّلا في جريدة البشير فسُرَّ بها القرّاء وتمنّوا لو وجدوها مجموعةً في كتاب منفرد فاجابت ادارة البشير الى طلبتهم وها هي قد ظهرت بجلية زرقاء ونقوش زاهية تدعو ناظرها الى تسريح النظر في مضامينها الشائعة ٠ والحقّ يقال انها اثمن هديّة تقدَّم لاحداث المدارس فيتلونها برغبةٍ لبهجة اخبارها وحسن سبكها وانشائها

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ً مجموعة اعداد مجلة الزهرة لسنتها الثالثة لصاحبها ومديرها المسؤول جميل افندي البحري

٢ً Our Lady Lourdes هي كرّاسة لطيفة تحتوي بالانكليزيّة خلاصة اخبار ظهور العذراء في لورد مع وصف مزاراتها وعجائبها لحضرة الخوري الفاضل فرنسيس شالي كتبها بعد زيارتها الى لورد بصحبة السيد بشارة الشالي مطران دمشق. وطبعها في بوفالو (١٩٢٣ ص ٣٥)

٣ً G. Schurhammer s. j. Vie populaire de S[t] François Xavier هي ترجمة رسول الهند واليابان القديس فرنسيس كسفاريوس لافادة الشعب وهي قد طبعت بعشر لغات. وهذه ترجمتها الفرنسويّة

ВОСТОКОВЕДЕНИЕ
В ПЕТРОГРАДЕ 1918—1922

٤ً كريرية روسيَّة عنوانها العلوم الشرقيَّة في بتروغراد من ١٩١٨ الى ١٩٢٢ نشرتهُ مدرسة المستشرقين التابعة للمتحف الاسيوي الملحق بالمجمع العلمي الروسي. فيهِ انظمة التدريس ولائحة الجمعيات العلمية والمدارس ٬ وجدول المكاتب والمتاحف ٬ والمعارض والنشرات السنوية ٬ والبنايات او التماثيل الشرقية الموجودة في بتروغراد ٬ اخيرًا اسماء المستشرقين الروس المتوفين حديثًا وجدول اخوانهم الذين لا يزالون في قيد الحياة

شذرات

﴿ملحق بشعر صالح بن عبد القدُّوس﴾ وقفنا لصالح بن عبد القدُّوس بعد نشرنا شعرهُ في عددنا السابق على ابيات اخرى وجدناها في بعض التآليف القديمة. منها ما رواهُ لهُ الراغب الاصفهاني في كتابهِ محاضرات الادباء كقولهِ (١ : ٣٢٢) :

اللهَ احمدُ شاكرًا ... فبلاؤهُ حسنٌ جميلُ
اصبحتُ مستورًا مُعا ... فًى بين أنعُمهِ أجولُ

خُلوًا من الاحزان خِفَّ م الظهرِ يُقنعني القليل
حُرًّا فـلا مَنٌّ لمخـلوقٍ عليَّ ولا سبيل
ونفَيتُ باليأسِ المُنى عني فطابَ ليَ المَقيل

فترى انَّ كلامهُ هذا بعيد عن الزندقة. وروى لهُ قولًا آخر ينفي عن الله تعالى كل مشاركة للانسان الحرّ في عمل الشرّ قال (٢ : ٢٤٤) :

ولا اقولُ اذا مـا جئتُ فـاحشةً اني عـلى الـذنب محمولٌ ومجبورُ

وقال في معناهُ :

لم تخلُ افعـالُنا اللاتي نذمُّ بها احدى ثلاث خصـالٍ في معانيهـا
إمَّـا تفرَّد مولانا بصنعتهـا فـاللومُ يسقطُ عنَّا حين نأتيهـا
او كان يَشركنا فـالَّلوم يلحقُـهُ ان كان يلحقنا من لائمٍ فيهـا (١
او لم يكن لالهي في جنايتهـا صنعٌ فما الصُّنع الَّا ذَنب جانيهـا

ومن مرويَّاتهِ لهُ ايضاً قولهُ في القبر (٢ : ٢٩٠) :

فيا منزلًا سوَّى البلا بين اهلـهِ فلم يَستَبِن فيهِ الملوكُ من السُّوقى

ووجدنا لهُ في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء قولهُ انشدهُ لهُ الخلاوي عن محمَّـد ابن محمَّد البكري في صدق الوداد وكاذبهِ (ص ٧٣) :

اذا كان ودُّ المرءِ ليس بزائـدٍ على مَرحباً او كيف انتَ وحالكا
او القولُ اني وامقٌ لـك حافظٌ وافعالـهُ تُبدي لنـا غير ذلكا
ولم يـكُ الَّا كاشرًا او محـدِّثًا فـأُفٍّ لودٍّ ليس الَّا كـذلكا
ولكن إخاءُ المرءِ من كان دائمًا لذي الودِّ منهُ حيث ماكان سالكا

ومن لطيف ما روى لهُ هناك (ص ١٠٥-١٠٦) عن منصور بن محمَّد الكَزَبري واليهِ قولهُ في وصف الاحمق :

إحذَرِ الاحمق ان تصحبَـهُ انَّمـا الاحمقُ كالثوب الخَـلَق
كلَّما رقَّعتَهُ من جـانبٍ حرَّكتْهُ الريحُ وهنًا فانخرَق

---

١) انَّ في عمـل الشرّ قسمين قسم وضعيّ كرفع اليد بالسيف للقتل وتحريـك اللسان للتجديف. فذلك لا بأس منهُ يشاركنا الله في عملهِ. وقسم سَلبي وهو مخالفة وصيَّة الله بالقتل والتجديف وذلك كلهُ من الانسان

او كصَدْعٍ في زجاجٍ فاحشٍ هل ترى صَدْعَ زجاجٍ يُلتصَقْ
كحمارِ السوء ان أَقضَمتَهُ رمَحَ النـاسَ وان جاعَ نَهَقْ
واذا جـالستَـهُ في مجلسٍ أفسدَ المَجلس منـهُ بالخُرُقْ
واذا نَهنَهتَـهُ كي يرعوي زادَ شرًّا وتمادى في الحُمُقْ
عجبـاً للنـاس في أرزاقهم ذاكَ عطشانُ وهذا قد غَرِقْ

وورد لصالح في كتاب التحفة الناصريَّة (ص ٤٧٣) في النمّام :

من يُخبِرْكَ بشَـتمٍ عن اخٍ فهوَ الشاتمُ لا مَنْ شَتَمَكْ
قال شيئاً لم يُواجهْـكَ بـهِ انّمـا اللومُ على من أعلمـكْ

ولصالح ايضاً في كتاب المواهب الفتحيّة (٢ : ٩٩)

نُراعُ اذا الجنائزُ قابلَتنـا ونـكنُ حين تخفى ذاهباتِ
كرَوعـةِ ثُلَّـةٍ لِمَغار ليثٍ فلمّا غاب عـادت راتعـاتِ

وجاء في شرح الواحدي على بيت المتنبي (ص ٣٤٤) :

ومن العداوة مـا ينالُكَ نفعُهُ ومن الصداقـة مـا يضرُّ ويؤلِمُ

قال أخذهُ من قول صالح بن عبد القدوس :

عدوُّكَ ذو العقلِ خيرٌ من م الصَّديقِ لـكَ الوامقِ الاحمـقِ

(هذا وقد وقعت غلطةٌ طبعيّة في العدد السابق (ص٨٢١ س ٢٣) فرُوي : «بين العصا ولحائها» والصواب : «ولِحائها» بالهمزة اي قشرتها)

❊ مؤتمر البروتستانت الاسقفي في اميركا ❊ روت جريـدة البشير عن الاوسرڤاتوري رومانو لسان حال الڤاتيكان انَّ شيعة الاسقفيين البروتستانيَّة عقدت في فيلادلفيا في الولايات المتَّحدة مؤتمرًا حضرهُ نيِّف و ٧٠٠ راعٍ انكليكاني من هذا المذهب وان «بلاي» خطيب المؤتمر الخاص وهو من مدينة نيويرك قام خطيباً في الحضور وتلا عليهم التمنيات التالية فقوبل كلامهُ عموماً بتصفيق الاستحسان قال :

« يمكننا جعل ما يأتي كاساس لمفاوضاتنا مع رومية :

١ً قبول عقيدة رئاسة القديس بطرس واحبار رومية واعتبارهـا صادرة عن وحيٍ الهي ٢ً قبول عقيدة أنَّ سلطة الحبر الروماني الشرعيَّة مستمدَّة من الوحي الالهي وإن تكن اختلفت على ممرّ الازمان من حيث اتساع نطاقها . ٣ً قبول عصمة الحبر

الروماني عن الخطأ باعتبار انها نتيجة تعاليم الكنيسة وبمقتضى ما يحدّدها البابا نفسه اعني العصمة التي تكتسب قوتها من موافقة الكنيسة جمعاء»

(نقول) وهنا فليسمح لنا سيادة المطران جراسيموس مرَّة ان نذكّرهُ بقوله لشعبه عند رجوعه من اميركة انهُ سيصير قريباً اتحاد بين كنيسته الارثذكسية والكنيسة الاسقفيَّة فندعوهُ اليوم هو وكنيستهُ الى الاتحاد بالكنيسة الرومانية التي اقرَّ المؤتمر الاسقفي برئاستها . فلا شك انهُ يرضى بتمنيات الاسقفيين وهو الذي حبَّذ تعاليمهم واتحد بالصلاة معهم قبل عامين

﴿ مركوني في بيروت ﴾ قدم العلّامة الايطالي غوليلمو مركوني بيروت للبحث عن بعض شؤون التلغرافية اللاسلكيَّة التي بلَّغها بعد اكتشاف الفرنسوي برانلي استاذ الكلّية الكاثوليكية في باريس لبداءَة الاصلي الى تحسينات عديدة حتى اصبحت اليوم احد اركان المواصلات بين كلّ اقطار المعمور

﴿ المرّيخ واقترابهُ من ارضنا ﴾ كانت سيَّارة المرّيخ في الصيف الاخير اقرب الى ارضنا منها في اي عهدٍ آخر واقترابها لا يحصل الّا نادرًا جدًّا فأمَّل الفلكيُّون أنهم يكشفون شيئاً من اسرار هذه السيّارة فاستعدُّوا لمراقبتها باكبر مراصدهم ولكن اين لهم الاستطلاع على خواصها وهي ككرة صغيرة كشبه كرى الصغار يراها الانسان على بُعد ستَّة كيلومترات؟ . وانَّنا تحقَّقوا انَّ بشرًا مثلنا لايستطيعون فيها الحياة لاختلاف احوالها عن احوالنا ولنقص عدَّة شروط من شروط معاشنا . واَّما ما اشاعهُ البعض انَّ بعض الراصدين تلقَّى من المرّيخ نبأً لاسلكيًّا فهو محض اختلاق بل هو فصلٌ هزليّ لعبهُ بعض التَّكهيين مزحاً فعمد الى محطَّة لاسلكيَّة وارسل فيها احرفاً يستفاد من لغزها معنًى بذيئاً ليسخر من الراصدين

﴿ هزليَّات العرفان ﴾ ممَّا روت مجلَّة العرفان في عددها الصادر في تشرين الاوَّل (ص ٧٧) انَّ بعض العلماء تمكَّنوا من نقل الافكار باللاسلكي فتعجَّبنا كيف نقل الاديب صاحبها مثل هذه الخزعبلات . واعجب منها ذكرهُ لبيض محجَّر عمرهُ «اربعون مليوناً من السنين (كذا) اكتشفهُ على قوله احد اساتذة شيكاغو . فان كان الخبر صحيحاً فما هي الّا « احدى الخرطات لاميركيَّة» التي لا تسلك على عقول الصغار

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما هو اصل عيد جميع القديسين الواقع في غرّة تشرين الثاني وما هو معناهُ

اصل عيد جميع القديسين ومعناهُ

ج قد قدّمنا على هذا العيد فصلاً موسعاً في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٩٢٧—٩٤٤) فليُراجع

س وسأل آخر ما الافادة من وحي السيد المسيح في الانجيل لبعض الاسرار الغامضة كسرّ الثالوثُ الاقدس مثلاً ان كانت تفوق عقلنا ولا ندركها ؟

الافادة من وحي الاسرار الفائقة العقل

ج انَّ في وحي مثل هذه الاسرار منفعةً بل منافع جمّة (اوّلها) اننا نتأكَّد وجود السرّ وان لم يُحطْ بهِ إدراكنا. أفليس شرفٌ لجنسنا ان نعرف وجود شيء من اسرار الله مع قصورنا عن فهمها كما انّنا نُسرّ بمعرفة وجود عدّة امور طبيعيّة كالكهرباء والجاذبيّة وفعل النفس بالجسد وان تفوتنا اسرار حركاتها ونفوذها. فمعرفتنا شيء ولو زهيدًا من امور الله اجدى نفعاً من كلّ العلوم البشريّة. (ثانياً) وليس من الصحيح انّنا نعرف وجودها فقط فانّ سرّ الثالوث الاقدس مثلاً يكشف لنا سرّ فدائنا على يد الهٍ متأنّس كان وحدهُ قادراً على الوفاء عن خطيئة آدم وخطايا البشر. وسرّ القربان يفيدنا تقرّباً من الله حتى نُصبح مشاركين لطبيعتهِ الالهيّة كما قال القديس بطرس. وقس عليها بقيّة الاسرار. (ثالثاً) ولا تبقى معرفة هذه الاسرار منحصرةً في قوّة العقل بل تؤثّر ايضاً في ارادتنا وتدفعها الى ممارسة كل الفضائل ومباشرة كلّ عمل صالح فنقدّس نفوسنا. وزد عليهِ (رابعاً) الاجر بايمان الوحي

س وسأل احد الكهنة الموارنة في جونية : ايجوز لكاهن ماروني ان يزيّح القربان الاقدس على الطقس اللاتيني في كنيسة مدرسة لاتينيّة امام حضور من الطقسين

الاشتراك في الطقوس

ج بوجه عمومي لا يسمح للكهنة المزج بين الطقوس وعلى كلّ كاهن ان يلزم طقسهُ وعادات كنيستهِ. امّا مسألة زيّاح القربان على عادة الكنيسة اللاتينيّة فعلى رأينا انهُ يجب على الكاهن ان يراجع في ذلك سيادة مطران ابرشيّتهِ ل. ش